سلسلة مؤلفات
فضيلة الشيخ
٥٣

شرح رياض الصالحين

من كلام سيد المرسلين
صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

المجلد الأول

من إصدارات

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

قال الله تعالى: "يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ

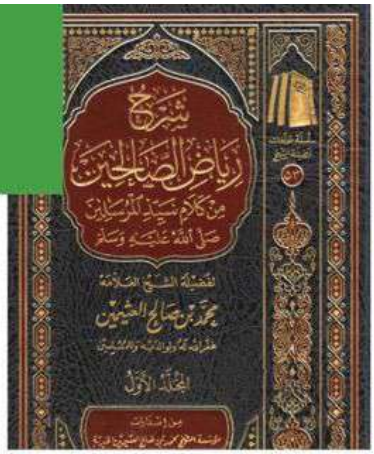

١/ ٦٧٨

واستِطعامُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ يَكونُ بِالقَولِ وبِالفِعلِ؛ فبِالقَولِ: بِأَن نَسأَلَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أن يُطعِمَنا وأنْ يَرزُقَنا، وأمَّا بِالفِعلِ، فَلَه جِهتانِ:

الجِهةُ الأُولى: العَملُ الصَّالِحُ، فإنَّ العَملَ الصَّالِحَ سَببٌ لِكَثرةِ الأَرزاقِ وَسِعَتِها، قالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦]، وقالَ تَعالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة:٦٥-٦٦]، ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾: أيْ: من ثِمارِ الأشْجارِ، ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾: أيْ: مِن ثِمارِ الزُّروعِ، فالمُهِمُّ أنَّ هَذا مِن أسبابِ إطعامِ اللهِ.

الجِهةُ الثانيةُ مِن جِهةِ الاستِطعامِ الفِعليِّ: أن نَحرُثَ الأَرضَ، ونَحفرَ الآبارَ، ونَستَخرِجَ المِياهَ، ونَزرَعَ الحُبوبَ، ونَغرِسَ الأشجارَ، وما أشبَهَ ذَلِك.

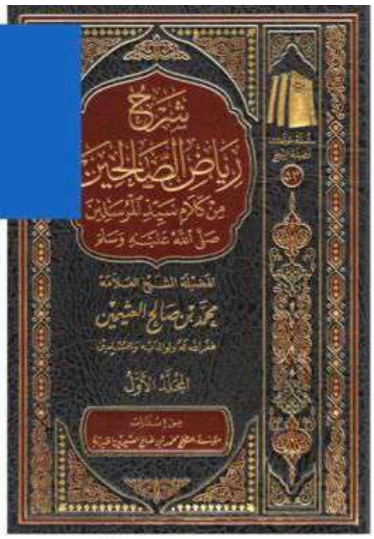

قال ﷺ :"فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً"

١/ ٦٥٩

ثُم بَيَّن النَّبِيُّ ﷺ: ماذا يَحصُلُ للإِنْسانِ منَ الأَجرِ فيما إذا سَجَدَ؛ وهُو أَنَّه يَحصُلُ له فائِدَتانِ عَظيمَتانِ:

الفائِدةُ الأُولى: أنَّ اللهَ يَرفَعُك بِها دَرجةً، يعني: مَنزِلةً عِندَه وَفي قُلوبِ النَّاسِ، وكَذَلِك في عَمَلِكَ الصَّالِحِ؛ يَرفَعُكَ اللهُ بِه دَرجةً.

والفائِدةُ الثَّانِيةُ: يَحـطُّ عَنكَ بها خَطيئةً، والإِنسانُ يَحـصُلُ له الكَمالُ بِزَوالِ ما يَكرهُ، وحُصولِ ما يُحبُّ، فَرَفعُ الدَّرَجاتِ ممَّا يُحبِّه الإِنْسانُ، والخَطايا مِمَّا يَكرَه الإِنسانُ، فَإِذا رُفِعَ له درجةٌ وحُطَّ عَنه بِها خَطيئةٌ؛ فَقَد حَصَلَ عَلى مَطْلوبِهِ، ونَجا مِن مرهوبِهِ.

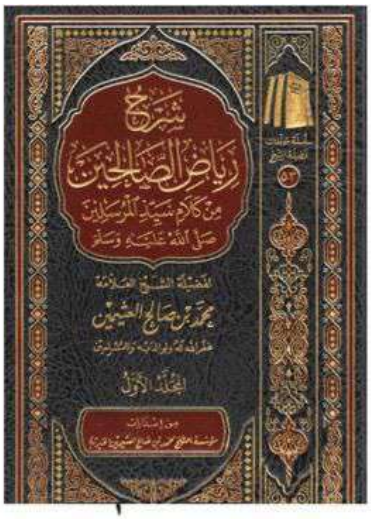

الافتقار إلى الله تعالى في طلب الهداية

١/ ٦٧٦

الفِعلَ جُزِم «اسْتَهدُوني أهْدِكُمْ»، فمَتَى طَلبتَ الهدايةَ مِنَ اللهِ بِصدقٍ وافتِقارٍ إليه، وإلحاحٍ، فإنَّ اللهَ يَهديكَ.

ولَكنَّ أكثرَنا مُعرضٌ عَنْ هَذا، فأكثرُنا قائِمٌ بِالعِبادةِ، لَكن عَلى العادةِ، وَعَلى ما يَفعلُ النَّاسُ، كأنَّنا لَسْنا مُفتقِرينَ إلى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في طَلبِ الهِدايةِ، فالَّذي يَليقُ بِنا: أنْ نَسأَل اللهَ دائمًا الهِدايةَ، والإنسانُ في كُلِّ صَلاةٍ يَقولُ: رَبِّ اغفِر لي، وارحَمني واهدِني، بَل إنَّه في كُلِّ صَلاةٍ يَقولُ عَلى سَبيلِ الرُّكنِيةِ: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، ولكن أينَ القلوبُ الواعيةُ؟! إنَّ أكثرَ المصلِّينَ يَقرأُ هَذِه الآيةَ، وتمرُّ عَليهِ مرَّ الطَّيفِ، أيْ: مرَّ الغَيم الَّذي يَجري بِدونِ ماءٍ، وبِدونِ شَيءٍ، ولا يَنتَبِه لها.

والَّذي يَليقُ بِنا أن نَنتَبِهَ، وأن نَعلَمَ أنَّنا مُفتقِرون إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ في الهِدايةِ، سَواءٌ الهِدايةُ العِلميةُ، أو الهِدايةُ العَمَليةُ، أيْ: هِدايةُ الإرشادِ والدَّلالةِ، أو هِدايةُ التَّوفيقِ، فَلا بُدَّ أن نَسألَ اللهَ دائمًا الهِدايةَ.

المصلي إذا مرّ بآية تسبيح أو رحمة أو عذاب

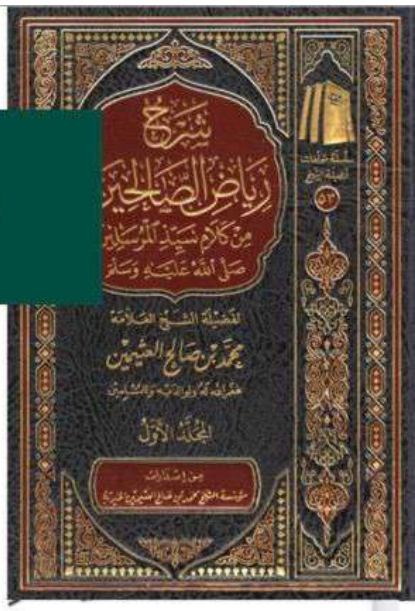

١/ ٦٤٨

ومِنها: أنَّه يَنبَغي للإنْسانِ في صَلاةِ اللَّيلِ إذا مَرَّ بِآيةِ رَحمةٍ أن يَقِفَ ويَسألَ، مِثلَ لَو مَرَّ بِذِكرِ الجَنةِ؛ يَقفُ ويَقولُ: اللَّهُمَّ اجعَلني مِن أهلِها، اللَّهُمَّ إني أسألُك الجَنةَ، وَإذا مَرَّ بِآيةِ وَعيدٍ يَقِفُ، يَقولُ: أعوذُ بِاللهِ مِن ذَلِك، أعوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ،

وإذا مرّ بِايةِ تسبيحٍ؛ يَعني: تعظيمٍ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ يَقِف ويَسَبح الله ويعظمه، هذا في صَلاةِ اللَّيلِ، أمَّا في صَلاةِ الفَريضةِ فَلا بَأسَ أن يَفعَلَ هَذا، ولَكِنَّه لَيسَ بسُنَّة، إن فعَلَهُ فإنَّه لا يُنهى عَنهُ، وإن تَركَه فإنَّه لا يُؤمَرُ بِه، بِخِلافِ صَلاةِ اللَّيلِ، فإنَّ الأفضَلَ أن يَفعَلَ ذَلِك، أيْ: يتعوَّذَ عِندَ آيةِ الوَعيدِ، ويَسألَ عندَ آيةِ الرَّحمةِ، ويُسبِّحَ عِندَ آيةِ التَّسبيحِ.

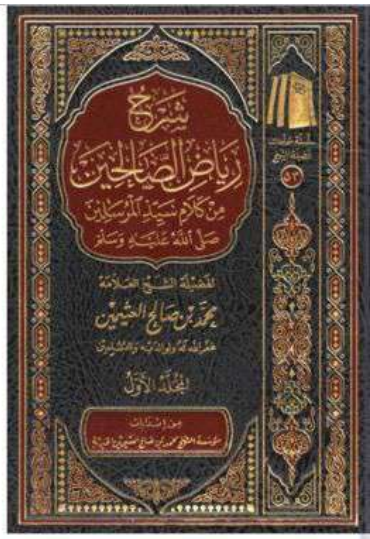

نعمة الأمن في الأوطان

١/ ٦٢٣

ثالثًا: نِعمةُ الأمْنِ في الأوطانِ، فَإنَّها مِن أكبَرِ النِّعمِ، ونَضرِبُ لكُم مثلًا بِما سَبقَ عَنْ آبائِنا وَأجدادِنا مِنَ المَخاوفِ العَظيمةِ في هَذِه البِلادِ، حتَّى إنَّنا نَسمَعُ أنَّهُم كانوا إذا خَرجَ الواحِدُ مِنهُم إلى صَلاةِ الفَجرِ؛ لا يَخرُجُ إلَّا مُصطَحِبًا سِلاحَهُ؛ لأنَّهُ يَخشى أن يَعتَديَ عَليهِ أحَدٌ، ثُمَّ نَضرِبُ مثلًا في حَربِ الخَليجِ الَّتي مَضَت في العامِ الماضي؛ كيفَ كانَ النَّاسُ خائِفين؟! أصبَحَ النَّاسُ يُغلِقون شبابِيكَهم بِالشَّمعِ خَوفًا من شَيءٍ مُتوهَّمٍ أن يُرسَل عَليهِم، وَصارَ النَّاسُ في قَلقٍ عَظيمٍ، فنِعمةُ الأمنِ لا يُشابِهُها نِعمةٌ غيرُ نِعمةِ الإسلامِ وَالعَقلِ.

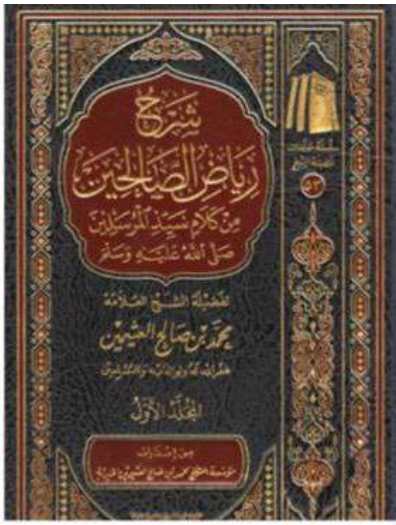

"احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ"

١/ ٦٣٤

وقَولُه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**واسْتَعِنْ بِاللهِ**»: ما أروَعُ هَذِهِ الكَلمةَ بَعدَ قَولِه: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**»؛ لأنَّ الإنسانَ إذا كانَ عاقِلًا ذَكِيًّا فإنَّه يتَتَبَّع المَنافِعَ ويَأخُذُ بِالأنفَعِ ويَجتَهِدُ، ويَحرِصُ، ورُبَّما تَغُرُّه نَفسُه حتَّى يَعتَمِد عَلى نَفسِه ويَنسَى الاستِعانةَ بِاللهِ، وَهَذا يَقعُ لِكَثيرٍ مِنَ النَّاسِ، حَيثُ يُعجَبُ بِنَفسِه وَلا يَذكُرُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ ويَستَعين بِه، فَإذا رَأى مِن نَفسِه قُوةً عَلى الأعمالِ وحِرصًا عَلى النافِعِ وفِعلًا لَه؛ أُعجِبَ بِنَفسِه ونَسِي الاستِعانةَ بِاللهِ؛ ولِهَذا قالَ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، واسْتَعِنْ بِاللهِ**» أيْ: لا تَنسَ الاستِعانةَ بِاللهِ ولَو عَلى الشَّيءِ اليَسيرِ، وفي الحَديثِ: «**لِيَسأَل أحَدُكُم رَبَّه حاجَتَهُ حَتَّى يَسأَلَه المِلحَ، وَحَتَّى يَسأَلَه شِسعَ نَعلِهِ إذا انقَطَعَ**»[1] يَعني: حتَّى الشَّيءَ اليَسيرَ لا تَنسَ الاستِعانةَ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ، حتَّى ولَو أرَدتَ أن تَتَوَضَّأ أو تُصلِّيَ أو تَذهَبَ يَمينًا أو شِمالًا أو تَصنَع شَيئًا فاستَحضِر أنَّك مُستَعينٌ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ، وأنَّه لَولا عَونُ اللهِ ما حَصلَ لَك هَذا الشَّيءَ.

"احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ"

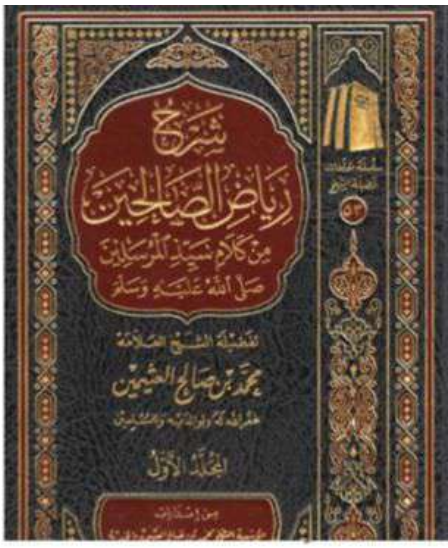

١/ ٦٣٣

وَهَذا حَديثٌ عَظيمٌ يَنبَغي للإنسانِ أن يَجعَلَه نِبراسًا لَه في عَمَلِه الدِّينيِّ وَالدُّنيويِّ؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**» وهَذِه الكَلمةُ كَلمةٌ جامِعةٌ عامَّةٌ، «**عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**» أيْ: عَلى كُلِّ شَيءٍ يَنفَعُك سَواءٌ في الدِّينِ أو في الدُّنيا، فإذا تَعارَضَت مَنفعةُ الدِّينِ ومَنفعةُ الدُّنيا فَقَدِّم مَنفَعةَ الدِّينِ؛ لأنَّ الدِّينَ إذا صَلُحَ صَلُحَت الدُّنيا، أمَّا الدُّنيا إذا صَلُحَت مَعَ فَسادِ الدِّينِ فَإنَّها تَفسَدُ.

وَفي قَولِهِ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**» إشارةٌ إلى أنَّهُ إذا تَعارَضَت مَنفَعَتانِ إحداهُما أعلى مِنَ الأُخرى، فَإنَّنا نُقدِّمُ المَنفعةَ العُليا؛ لأنَّ المَنفعةَ العُليا فيها المَنفعةُ الَّتي دونَها وزِيادةٌ، فتَدخُلُ في قَولِه: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**».

فَإذا اجتَمَع صِلةُ أخٍ وَصِلةُ عَمٍّ كِلاهُما سَواءٌ في الحاجةِ، وأنتَ لا يُمكِنُك أن تَصِل الرَّجُلَين جَميعًا، فهُنا تُقدِّم صِلةَ الأخِ؛ لأنَّها أفضَلُ وأنفَعُ، وكَذَلِك أيضًا لو أنَّك بَين مَسجِدَين كِلاهُما في البُعدِ سَواءٌ لَكِن أحدُهُما أكثَرُ جَماعةً فإنَّنا نُقدِّمُ الأكثَرَ جَماعةً؛ لأنَّه الأفضَلُ، فَقَولُه: «**عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**» يُشيرُ إلى أنَّه إذا اجتَمَعَت مَنفَعَتان إحداهُما أعلى مِنَ الأُخرى فَإنَّها تُقدَّمُ الأعلى.

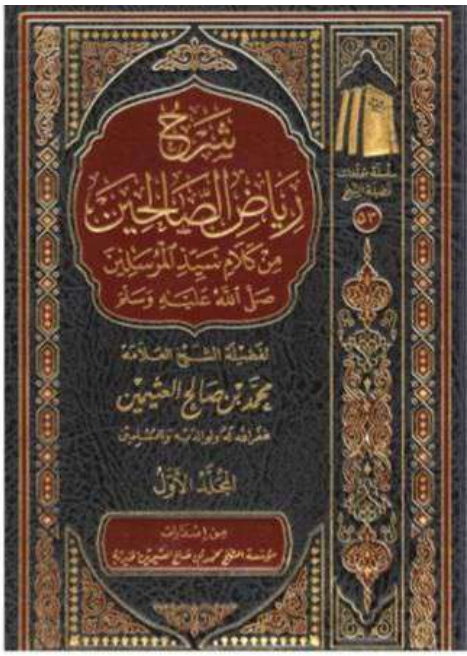

أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا ؟

١/ ٥٨٧

٩٠- الرابعُ: عَنْ أبي هُرَيْرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبـيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسولَ اللهِ، أيُّ الصَّدَقَةِ أعْظَمُ أجْرًا؟ قَالَ: «أنْ تَصَدَّقَ وَأنتَ صَحيحٌ شَحيحٌ، تَخْشَى الفَقرَ وتَأمُلُ الغِنَى، وَلَا تُمهِلْ حتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلقُومَ قُلْتَ: لِفُلانٍ كذا ولِفُلانٍ كَذا، وقَدْ كَانَ لِفُلانٍ»[٢] مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

هَذا الحَديثُ ساقَهُ المُؤلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ في بابِ المبادَرةِ إلى فِعلِ الخَيراتِ، وعَدمِ التَّردُّدِ في فِعلِها إذا أقبَلَ عَلَيها. فإنَّ هَذا الرَّجُلَ سَألَ النَّبِيَّ ﷺ: أيُّ الصَّدقةِ أفضَلُ؟

وهو لا يُريدُ أيَّ الصَّدقةِ أفضَلُ في نَوعِها، ولا في كِمِّيَّتِها، وإنَّما يُريدُ ما هو الوَقتُ الَّذي تَكونُ فيه الصَّدقةُ أفضلُ من غيرِها، فَقالَ له: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأنتَ صَحيحٌ شَحيحٌ» يَعْني: صَحيحَ البَدنِ شَحيحَ النَّفسِ؛ لأنَّ الإنسانَ إذا كان صَحيحًا كان شَحيحًا بالمالِ؛ لأنَّه يأملُ البَقاءَ، ويَخشى الفَقرَ، أمَّا إذا كانَ مَريضًا، فإنَّ الدُّنيا تَرخُصُ عِندَه، ولا تُساوي شيئًا، فتَهونُ عَليهِ الصَّدقةُ.

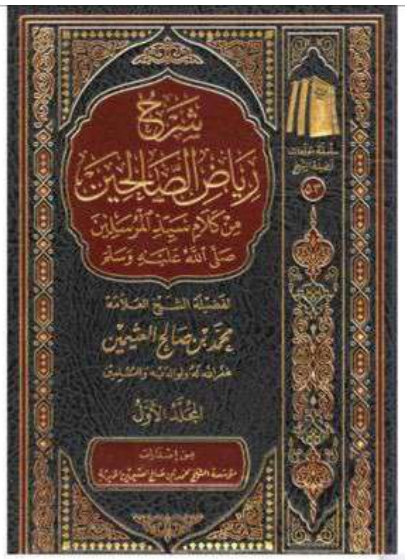

ذم الرفاهية

١/ ٥٩٤

ومَع هَذا؛ فإنَّ النَّاسَ كُلَّما ازدادوا في الرَّفاهِيةِ، وكلَّما انفَتَحوا عَلى النَّاسِ؛ انفَتَحَت عليهِمُ الشُّرورُ، فَالرَّفاهيةُ هي الَّتي تُدمِّرُ الإنْسانَ؛ لأنَّ الإنْسانَ إذا نَظَر إلى الرَّفاهِيةِ وتَنعيمِ جَسدِهِ؛ غَفَل عَنْ تَنعيمِ قَلبِه، وصارَ أكبرُ همِّه أن يُنعِّمَ هَذا الجَسدَ الَّذي مآلُهُ إلى الدِّيدانِ وَالنَّتنِ، وَهَذا هو البَلاءُ، وهذا هو الَّذي ضَرَّ النَّاسَ اليَومَ،

لا تَكادُ تَجِد أحَدًا إلَّا ويَقولُ: ما قَصْرُنا؟ ما سَيارَتُنا؟ ما فَرشُنا؟ ما أكلُنا؟ حتَّى الَّذين يَقرءونَ العِلمَ ويَدرسونَ العِلمَ، بَعضُهُم إنَّما يَدرُس لِيَنالَ رُتبةً أو مَرتَبةً يتَوصَّلُ بها إلى نَعيمِ الدُّنيا، وكأنَّ الإنْسانَ لم يُخلَق لأمرٍ عَظيمٍ، وَالدُّنيا ونَعيمُها إنَّما هيَ وَسيلةٌ فَقَط.

نَسألُ اللهَ أن نَستَعمِلَه وَإيَّاكُم وَسيلةً.

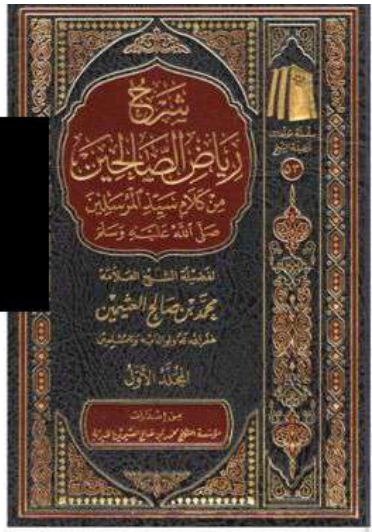

معنى قوله ﷺ: "يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنيَا"

١/ ٥٧٩

المُهِمُّ أنَّ الرَّسولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَذَّرنا مِن هَذِه الفِتنِ الَّتي هِيَ كقِطَعِ اللَّيلِ المُظلِمِ، يُصبِحُ الإنْسانُ مُؤمِنًا ويُمسي كافرًا، والعِياذُ بِاللهِ. يَومٌ واحدٌ يَرتدُّ عَنِ الإسلامِ، يَخرُجُ منَ الدِّينِ، ويُمسي مؤمِنًا ويُصبحُ كافرًا. نَسألُ اللهَ العافِيةَ.

لِماذا؟ «يَبيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنيا» ولا تظنَّ أنَّ العرَضَ منَ الدُّنيا هو المَالُ، كلُّ مَتاعِ الدُّنيا عَرَضٌ، سَواءٌ مالٌ، أو جاهٌ، أو رِئاسةٌ، أو نِساءٌ، أو غَيرُ ذَلِك، كلُّ ما في الدُّنيا مِن مَتاعٍ فإنَّه عَرَض، كما قالَ تَعالَى: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ [النساء:٩٤]، فَما في الدُّنيا كُلُّه عَرَض.

فهَؤُلاءِ الَّذينَ يُصبِحونَ مُؤمِنينَ ويُمسُون كفَّارًا، أو يُمسُون مُؤمنينَ ويُصبِحون كفَّارًا، كُلُّهم يَبيعونَ دينَهم بعَرَضٍ مِن الدُّنيا، نَسأَلُ اللهَ أنْ يُعيذَنا وَإيَّاكُم مِنَ الفِتَنِ.

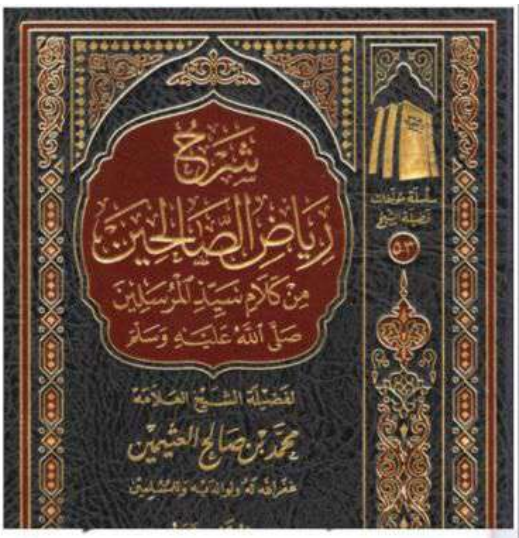

من ثمرات التقرّب لله بالنوافل

١/ ٦١٨

«وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أحِبَّهُ»، اللَّهُمَّ نَسأَلُك مِن فَضلِك، النَّوافِلُ تُقرِّب إلى اللهِ وَهِي تُكمِّل الفَرائِضَ، فَإذا أكثَرَ الإنسانُ مِنَ النَّوافِلِ مَع قِيامِه بِالفَرائِضِ، نالَ مَحبةَ اللهِ، فيُحبُّه اللهُ، وَإذا أحَبَّهُ فَكَما يَقولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: «كُنْتُ سَمعَهُ الَّذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتي يَمْشي بِهَا»، يَعني: أنَّه يَكونُ مُسَدِّدًا لَه في هَذِه الأعضاءِ الأربَعةِ؛ في السَّمعِ؛ يُسدِّدُه في سَمعِه فَلا يَسمَعُ إلَّا ما يُرضي اللهَ، كَذَلِك أيضًا بَصرُه؛ فَلا يَنظُر إلَّا إلى ما يُحِبُّ اللهُ النَّظَرَ إلَيهِ، ولا يَنظُرُ إلى المُحرَّمِ، وَلا يَنظُر نَظرًا مُحَرَّمًا؛ ويَدُه؛ فَلا يَعمَل بِيَدِهِ إلَّا ما يُرضي اللهَ؛ لأنَّ اللهَ يُسدِّدُه، وكَذَلِك رِجلُه؛ فَلا يَمشي إلَّا إلى ما يُرضي اللهَ؛ لأنَّ اللهَ يُسدِّدُه، فَلا يَسعى إلَّا إلى ما فيهِ الخَيرُ، وَهَذا مَعنى قَولِهِ: «كُنْتُ سَمعَهُ الَّذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتي يَمْشي بِهَا».

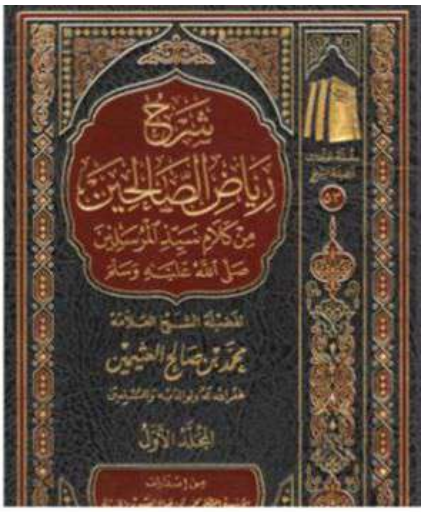

﴿وَالعافِينَ عَنِ النّاسِ﴾

١/ ٥٧١

﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ يَعْني: الَّذينَ إذا أساءَ النَّاسُ إلَيْهم عفَوا عنْهم، فإنَّ مَن عَفا وأصلحَ فأجرُهُ عَلى اللهِ، وقَد أطلَقَ اللهُ العَفوَ هنا، ولكِنَّه بيَّنَ في قولِه تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠]، أنَّ العفوَ لا يَكونُ خيرًا إلَّا إذا كانَ فيهِ إصلاحٌ، فإذا أساءَ إليكَ شَخصٌ مَعروفٌ بالإساءةِ والتَّمرُّد والطُّغيانِ على عبادِ اللهِ، فالأفضلُ ألَّا تَعفوَ عنهُ، وأنْ تأخُذَ بحقِّكَ؛ لأنَّك إذا عَفَوتَ ازدادَ شرُّه، أمَّا إذا كان الإنسانُ الَّذي أخطأَ عَليكَ قَليلَ الخطأِ، قَليلَ العُدوانِ، لكنَّ الأمرَ حَصَل على سَبيلِ النُّدرةِ، فهُنا الأفضَلُ أن تَعفُوَ.

ومِن ذلك حوادِثِ السَّيارات الَّتي كثُرَت، فإنَّ بعضَ الناسِ يتَسَرَّعُ، ويَعفو عَنِ الجانِي الَّذي حَصلَ منه الحادِثُ، وهَذا ليسَ بالأَحسَنِ، الأحسَنُ أن تتأمَّلَ وتَنظُرَ: هل هذا السَّائقُ مُتهوِّرٌ ومُستَهتِرٌ؛ لا يُبالي بعِبادِ اللهِ ولا يُبالي بالأَنظِمةِ؛ فَهذا لا تَرحَمْه، خُذْ بحقِّك منه كامِلًا، أما إذا كانَ إنْسانًا مَعروفًا بالتأنِّي، وخَشيةِ اللهِ، والبُعدِ عَنْ أذِيةِ الخَلقِ، والتِزامِ النِّظامِ، ولكنْ هذا أمرٌ حَصلَ مِن فَواتِ الحِرصِ، فالعَفوُ هنا أفْضلُ؛ لأنَّ اللهَ قالَ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فلا بُدَّ مِن مُراعاةِ الإصلاحِ عندَ العَفوِ.

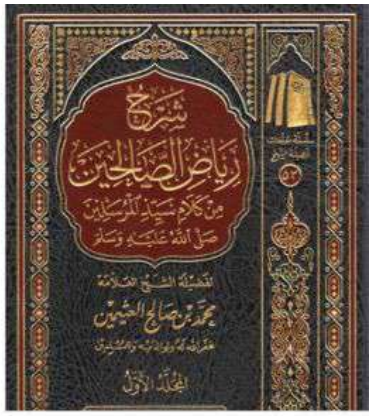

أهمية طاعة ولاة الأمور بالمعروف

١/ ٥١٣

ولا يَجوزُ للإنسانِ أَنْ يَعْصِيَ وُلاةَ الأمورِ في غيرِ مَعصيةِ اللهِ ويقولَ: إنَّ هذا ليسَ بدِينٍ؛ لأنَّ بعضَ الجُهَّالِ إذا نظَّمَ ولاةُ الأمورِ أنظمةً لا تُخالفُ الشَّرعَ، قالَ: لا يَلزَمني أَنْ أقومَ بهذه الأنظِمةِ؛ لأنَّها ليسَتْ بشرعٍ؛ لأنَّها لا توجدُ في كتابِ اللهِ تَعالى، ولا في سُنةِ رسولِه ﷺ، وهَذا مِن جهلِه، بل نقولُ: إنَّ امتثالَ هذهِ الأنظمةِ موجودٌ في كتابِ اللهِ، وموجودٌ في سُنَّةِ الرسولِ ﷺ، قالَ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ ووَرَدَ عنِ النبيِّ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في أحاديثَ كثيرةٍ أنَّه أمَرَ بطاعةِ وُلاةِ الأمورِ، ومِنها هذا الحديثُ، فطاعةُ وُلاةِ الأُمورِ فيما يُنظِّمونَه ممَّا لا يخالفُ أمرَ اللهِ تَعالى ورسولِه ﷺ ممَّا أمرَ اللهُ بِه ورسولُه ﷺ.

ولو كُنَّا لا نُطيعُ وُلاةَ الأمورِ إلَّا بما أمرَ اللهُ تَعالى بِه ورَسولُه ﷺ لم يكُنْ للأمرِ بطاعتِهم فائدةٌ؛ لأنَّ طاعةَ اللهِ تَعالى ورسولِه ﷺ مأمورٌ بِها، سواءٌ أمرَ بها ولاةُ الأمورِ أَمْ لم يَأمُرُوا بها، فهذِهِ الأمورُ الَّتي أوصَى بها النبيُّ ﷺ في حجةِ الوداعِ: تَقوى اللهِ، والصلواتُ الخمسُ، والزكاةُ، والصيامُ، وطاعةُ ولاةِ الأمورِ؛ هذِهِ منَ الأمورِ الهامةِ الَّتي يجبُ على الإنسانِ أَنْ يَعتَنيَ بها، وأن يَمتثِلَ أمرَ رسُولِ اللهِ ﷺ فيها، واللهُ أعلمُ.

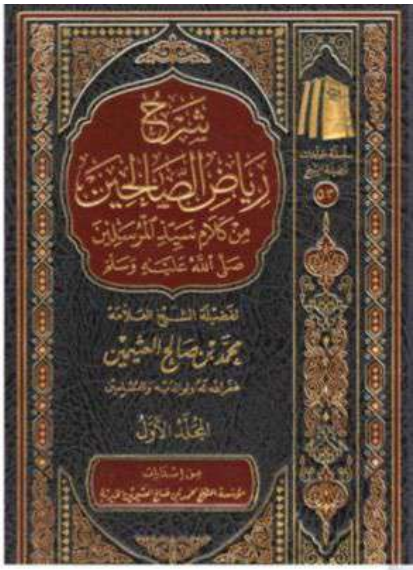

سَيْر القلب والتفكر في عاقبة المكذبين

١/ ٥٦٣

ومِنها قولُه تَعالى في سُورةِ القِتالِ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ [محمد:١٠]، فأمَرَ اللهُ بالسَّيرِ، والسيرُ يَنقسمُ إلى قِسمينِ:

سيرٌ بالقدَمِ، وسيرٌ بالقَلبِ.

١ - أمَّا السَّيرُ بالقدَمِ: بأَنْ يَسيرَ الإنسانُ في الأرضِ عَلى أقدامِه، أو على راحلتِه، مِن بعيرٍ أو سيَّارةٍ، أو طائِرةٍ، أو غيرِها، حتَّى يَنظرَ ماذا حصلَ للكافِرينَ، وماذا كانَت حالُ الكافِرينَ.

٢- وأمَّا السَّيرُ بالقلبِ: فهَذا يكونُ بالتأملِ وبالتَّفكرِ فيما نُقِلَ مِن أَخبارِهم.

وأصحُّ كتابٍ، وأصدَقُ كتابٍ، وأنفعُ كتابٍ، نقلَ أخبارَ الأوَّلين كتابُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، كما قالَ اللهُ تَعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف:١١١].

والقرآنُ مملوءٌ مِن أَخبارِ الأوَّلينَ المُكذِّبينَ للرسُلِ، والمُؤَيِّدينَ للرسُلِ، وبيَّنَ اللهُ عاقبةَ هَؤلاءِ وهؤلاءِ.

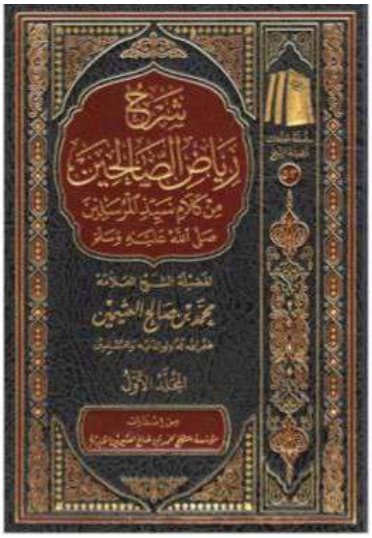

الذكر يكون على وجهين

١/ ٥٥٨

واعلَم أنَّ الذِّكرَ أيضًا يكونُ على وَجهَيْن: ذكرٌ تامٌّ: وهُوَ ما تَواطَأَ عليهِ القلبُ واللِّسانُ.

وذِكرٌ ناقصٌ: وهو ما كانَ باللِّسانِ معَ غَفلةِ القلبِ، وأكثرُ الناسِ -نَسألُ اللهَ أَنْ يُعامِلَنا جميعًا بِعفوِه- عندَهم ذِكرُ اللهِ باللسانِ معَ غَفلةِ القَلبِ، فتَجدُه يذكُرُ اللهَ وقلبُه يذهبُ يمينًا وشِمالًا؛ في دُكانِه وسيَّارتِه وفي بَيعِه وشِرَائِه.

لكِنْ هوَ مأجورٌ على كلِّ حالٍ، ولكنَّ الذِّكرَ التَّامَّ هوَ الَّذي يكونُ ذِكرًا للهِ باللِّسانِ وبالقلبِ. يَعني أنَّك تذكرُ اللهَ بلِسانِك، وتذكرُ اللهَ بقَلبِك، فأحيانًا يَكونُ الذِّكرُ بالقلبِ أنفعَ للعبدِ منَ الذِّكرِ المجرَّدِ، إذا تفكَّرَ الإنسانُ في نفسِه وقلبِه؛ في آياتِ اللهِ الكَونيةِ والشَّرعيةِ، بقَدرِ ما يَستطيعُ؛ حصلَ على خيرٍ كَثيرٍ.

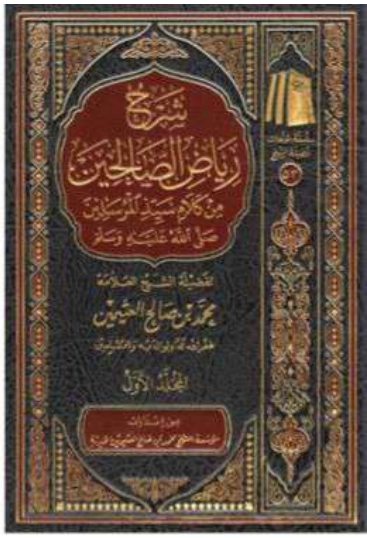

ما حال قلبك مع القرآن؟

١/ ٥٢٠

وهكَذا إذا رأيتَ مِن نفسِك أنَّك كُلَّما تلَوْتَ القرآنَ ازدَدْت إيمانًا؛ فإنَّ هذا مِن علاماتِ التَّوفيقِ.

أمَّا إذا كُنتَ تَقرأُ القرآنَ ولا تتأثَّرُ بِه؛ فعليكَ بمُداواةِ نفسِك، لا أقولُ: أنْ تذهبَ إلى المُستشفَى؛ لتأخذَ جرعةً مِن حُبوبٍ أو مياهٍ أو غيرِها، ولكِنْ عليكَ بمُداوَاةِ القلبِ؛ فإنَّ القلبَ إذا لم يَنتفِعْ بالقرآنِ ولم يتعِظْ به؛ فإنَّه قلبٌ قاسٍ مريضٌ، نسألُ اللهَ العافيةَ.

فأنتَ يا أَخي طبيبُ نفسِك، لا تذهَبْ إلى الناسِ، اقرَأِ القُرآنَ، فإنْ رأَيت أنَّك تتأثرُ به إيمانًا وتصديقًا وامتثالًا فهنيئًا لكَ، فأنتَ مؤمنٌ، وإلَّا فعليكَ بالدَّواءِ، داوِ نفسَك مِن قبلِ أن يَأتيَك موتٌ لا حياةَ بعدَه، وهو موتُ القلبِ، أمَّا موتُ الجسدِ فبعدَه حياةٌ، وبعدَه بعثٌ وجزاءٌ وحسابٌ.

من البلاء للعبد أن يتعامل مع الذنب

بهذه الطريقة

١/ ٤٩٨

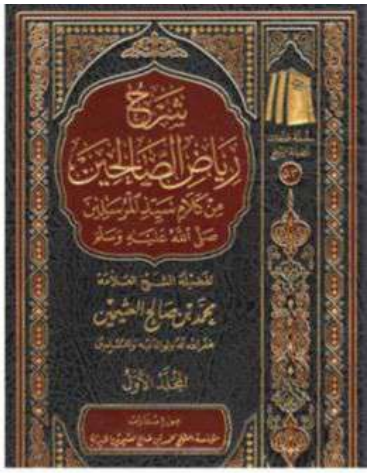

ومنَ البلاءِ للعبدِ أَنْ يظنَّ أنَّ ما كانَ علَيْه منَ الذُّنوبِ ليسَ بذنبٍ، فيُصرُّ عليهِ -والعياذُ باللهِ- كما قالَ اللهُ تَعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤]، فكثيرٌ منَ الناسِ لا يُقلعُ عنِ الذَّنبِ؛ لأنَّه زُينَ لَه -والعياذُ باللهِ- فألِفَهُ وصعُبَ عليهِ أَنْ يَنتشِلَ نفسَه مِنه، لكِنْ إذا كان مُتَّقيًا للهِ عَزَّوَجَلَّ سهلَ اللهُ لَه الإقلاعَ عنِ الذُّنوبِ حتَّى يغفرَ لَه، ورُبما يغفرُ اللهُ لهُ بسببِ تَقواهُ، فتكونُ تقواهُ مُكَفِّرةً لسيِّئاتِه، كما حصلَ لأهلِ بدرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، «فَإِنَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقالَ: اعْمَلوا ما شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[٢]، فتقعُ الذَّنوبُ مِنهم مَغفورةً؛ لما حَصَلَ لَهم فيها -أي: في الغَزوةِ- منَ الأجرِ العَظيمِ.

أعمال يراها الناس صغيرة وهي عند الصحابة من الموبقات

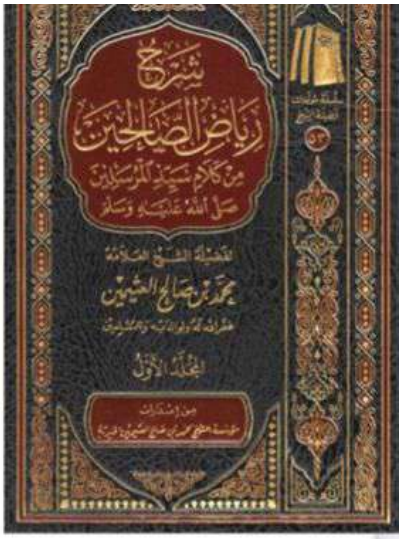

٦٣- الرابعُ: عَن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّكُمْ لَتعمَلُونَ أَعْمَالًا هيَ أدَقُّ في أَعيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ المُوبِقاتِ»[1]. رواهُ البخاريُّ.

مثلَ صلاةِ الجماعةِ، فقَدْ كانَ الصَّحابةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لا يتخلَّفُ أحدٌ عنها إلَّا منافقٌ أو مريضٌ معذورٌ، ولكنَّ الناسَ تهاوَنُوا بها ولم يَكونوا على ما كانَ عليهِ الصحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في عهدِ النبيِّ ﷺ، بَلْ إنَّ الناسَ في عهدِنا صاروا يَتَهاوَنون بالصَّلاةِ نفسِها لا بصلاةِ الجماعةِ فقَطْ، فلا يُصلُّون، أو يُصَلُّونَ ويَترُكونَ، أو يُؤخِّرون الصَّلاةَ عَن وقتِها، كلُّ هذه أعمالٌ يسيرةٌ عندَ بعضِ الناسِ، لكنَّها في عهدِ النبيِّ ﷺ والصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانَت تُعَدُّ منَ الموبِقاتِ.

وكذلكَ أيضًا الغشُّ في عهدِ النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قالَ: «مَنْ غَشَّ فلَيْسَ مِنِّي»[2].

لكِنِ انظُرْ إلى الناسِ اليومَ تجِدْ أنَّ الغشَّ عندَهم أهونُ مِن كثيرٍ منَ الأشياءِ، بل إنَّ بعضَهم -والعياذُ باللهِ- يَعُدُّ الغشَّ منَ الشَّطارةِ في البيعِ والشراءِ والعقودِ،

ومن ذلِكَ الكذبُ، والكذبُ منَ الأشياءِ العظيمةِ في عهدِ الصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فيَرونَهُ منَ المُوبقاتِ، لكنَّ كثيرًا منَ الناسِ يَعُدُّه أمرًا هيِّنًا، فتجدُهُ يكذبُ ولا يُبالي

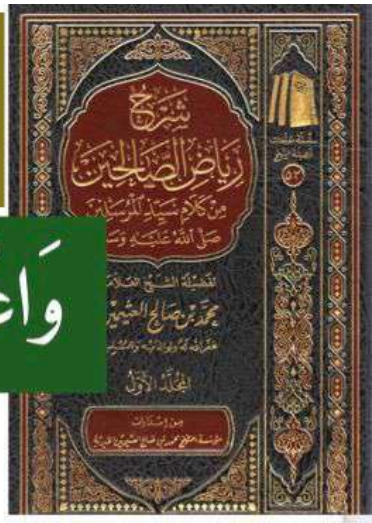

معنى قوله ﷺ:

وَاعْلَمْ..أَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا

١/ ٤٧٣

وقولُه: «وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ».

كلَّما اكترَبتِ الأمورُ وضاقَتْ فإنَّ الفرجَ قريبٌ؛ لأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يقولُ في كِتابِه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢]، فكلَّما اشتدَّتِ الأمورُ فانتظرِ الفرجَ منَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقولُه: «وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا» فكلُّ عُسْرٍ فبعدَه يُسرٌ، بَلْ إنَّ العُسْرَ محفوفٌ بيُسرَيْن، يُسرٌ سابقٌ ويُسرٌ لاحِقٌ. قالَ اللهُ تَعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥-٦]، وقالَ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَنْ يغلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»[1].

فهذا الحديثُ الَّذي أوصَى بِهِ النبيُّ ﷺ عبدَ اللهِ بنَ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَنبَغي للإنسانِ أَنْ يَكونَ على ذِكْرٍ له دائمًا، وأن يَعتمدَ على هذه الوَصايا النافعةِ الَّتي أَوصَى بها النبيُّ ﷺ ابنَ عمِّه عبدَ اللهِ بنَ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا واللهُ الموفِّقُ.

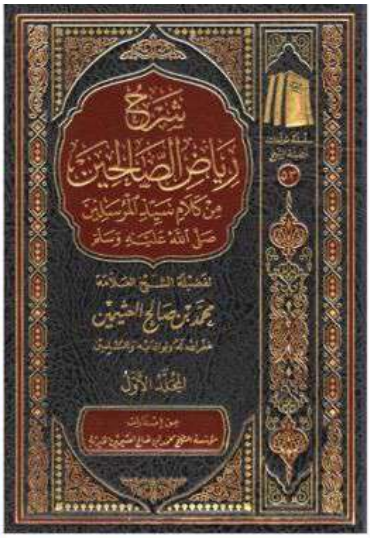

ممن يظلهم الله في ظله:

"رَجُلٌ تَصَدَّقَ بصدقة فأَخْفَاها حَتَّى لَا تَعْلَ

شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُه"

١/ ٤٤٧

السادسُ: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»: وهذا فيه كمالُ الإخلاصِ، يُخلصُ للهِ، لا يُريدُ منَ الناسِ أن يَطَّلعوا على عملٍ مِن أعمالِه، بل يُريدُ أن يَكونَ بينَه وبينَ ربِّه فقَطْ. ولا يريدُ أن يظهرَ للناسِ بمَظهرِ المنَّةِ على أحدٍ؛ لأنَّ الَّذي يُعطي أمامَ الناسِ تَكونُ له مِنَّةٌ على مَنْ أعطاهُ، فهوَ يُخفي الصَدقةَ حتَّى لا تعلمَ شمالُه ما تُنفقُ يمينُه، أي: مِن شدَّةِ إخفائِهِ لو أمكنَ أَنْ لا تعلمَ يدهُ الشمالُ ما أنفقَتْ يدُهُ اليمينُ لفعَلَ، فهذا مُخلصٌ غايةَ الإخلاصِ وهوَ بعيدٌ عنِ المَنِّ بالصدَقةِ، يُظلُّهُ اللهُ في ظلِّهِ يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّه، ولكِنْ لاحِظَ أنَّ إخفاءَ الصدَقةِ أفضلُ -بلا شكَّ- إلَّا أنَّه رُبَّما يعرضُ لهذا الأفضلِ ما يَجعلُه مفضولًا، مثلُ أن يَكونَ في إظهارِ الصَّدَقةِ تَشجيعٌ للنَّاسِ على الصَّدَقةِ، فهُنا قَدْ يكونُ إظهارُ الصَّدقةِ أفضلَ؛ ولِهذا امتدَحَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذينَ يُنفِقون سرًّا وعلانيةً على حَسبِ ما تَقتضِيه المَصلحةُ.

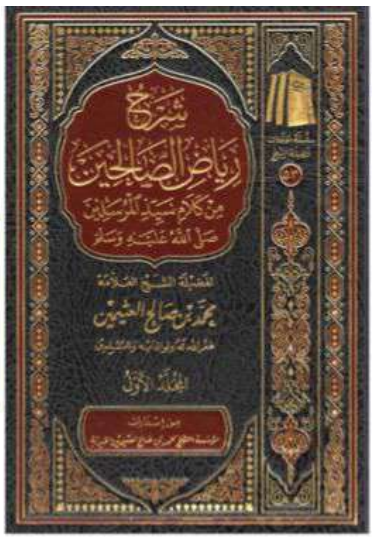

ممن يظلهم الله في ظله:

"رَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ"

١/ ٤٤٥

الثَّالثُ: «رجُلٌ قَلْبُهُ معلَّقٌ بالمساجدِ»: أي يُحبُّ المَساجدَ.

وهَلِ المقصودُ أماكنُ السجودِ؟ أي أنَّه يُحبُّ كثرةَ الصَّلاةِ، أوِ المقصودُ المساجدُ المَخصوصةُ؟ يحتملُ هذا وهذا. هذا رجلٌ دائمًا قلبُه مُعَلَّقٌ بالمساجدِ، وهوَ مشغُولٌ في أماكِنِ الصلاةِ، وفي الصَّلاةِ، إذا انتَهَى مِن صلاةٍ انتظَرَ الأُخرى، وهكَذا.

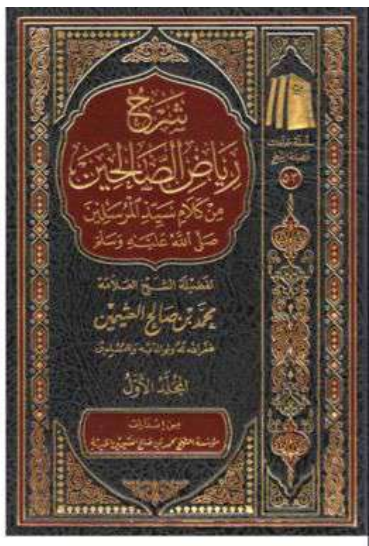

ممن يظلهم الله في ظله:

"رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"

١/ ٤٤٨

السابعُ: «وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» ذكرَ اللهَ بلِسانِه وبقلبِه، ليسَ عندَه أحدٌ يُرائيهِ بهذا الذِّكرِ، خاليًا منَ الدُّنيا كُلِّها، قلبُهُ معلَّقٌ باللهِ عَزَّوَجَلَّ.

فلمَّا ذكرَ اللهَ بلسانِه وبقلبِه، وتذكَّرَ عظمةَ الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ اشتاقَ إلى اللهِ ففاضَتْ عيناهُ. فهذا أيضًا مِمَّن يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّه يومَ لا ظلَّ إلَّا ظِلُّه.

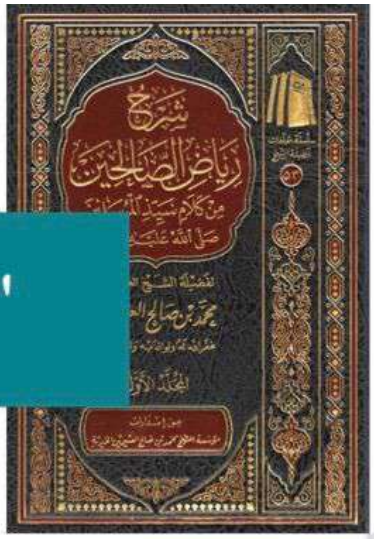

ممن يظلهم الله في ظله:

"رَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ؛ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ"

١/ ٤٤٥-٤٤٦

الرابعُ: «رَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ» أي: أحبَّ بعضُهما بعضًا لا لشيءٍ سِوى اللهِ عَزَّوَجَلَّ فليسَ بينَهما قرابةٌ ولا صِلةٌ ماليَّةٌ، وليسَ بينَهما صَدَاقةٌ طبيعيَّةٌ، إنَّما أَحبَّهُ في اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّه رآهُ عابدًا للهِ مُستقيمًا على شرعِه فأَحبَّه، وإذا كانَ قَريبًا أو صديقًا، وما أشبَهَ ذلكَ فلا مانعَ أن يحبَّه مِن وَجهَيْن: مِن جهةِ القرابةِ والصداقةِ، ومِن الجهةِ الإيمانيةِ.

فهَذانِ تحابَّا في اللهِ وصَارَا كالأخوَيْنِ؛ لِما بينَهما منَ الرَّابطةِ الشرعيَّة الدِّينيَّةِ، وهيَ عبادةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

«اجْتَمَعَا عَلَيهِ» في الدُّنيا «وتَفَرَّقَا عَلَيهِ» أي: لم يُفرِّقْ بينَهما إلَّا الموتُ، يُحبُّهُ إلى أن ماتَ، هذانِ يظلُّهُما اللهُ في ظلِّهِ يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّه، ويَكونانِ يومَ القيامةِ على محبَّتِهما وعلى خلَّتِهما، كما قالَ اللهُ تَعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف:٦٧]، تَبقى الصداقةُ بينَهما في الدُّنْيا والآخرةِ. اللَّهُمَّ إنَّا نَسألُكَ مِن فضلِك.

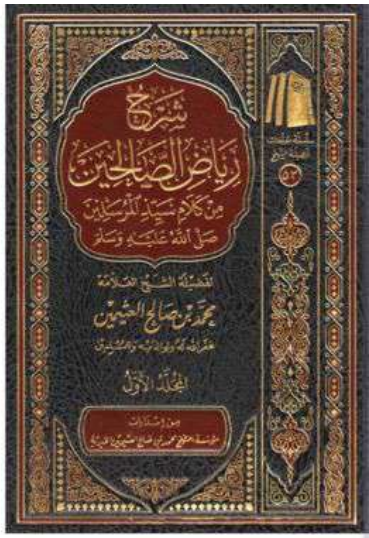

ممن يظلهم الله في ظله:

"شَابٌّ نَشَأَ فِي طَاعَةِ اللهِ"

١/ ٤٤٤

الثاني: «شَابٌّ نَشَأَ فِي طَاعَةِ اللهِ»:

الشَّابُّ ما بينَ الخمسَ عشرةَ سنةً إلى الثلاثينَ، ولا شكَّ أن يَكونَ للشَّابِّ اتِّجاهاتٌ وأفكارٌ، ولا يستقرُّ على شيءٍ؛ لأنَّه شابٌّ غضٌّ، كلُّ شيءٍ يجذبُه، وكلُّ شيءٍ يَختطفُه؛ ولِهذا أمرَ الرسولُ ﷺ في الحَربِ أن تُقتلَ شيوخُ المقاتِلينَ المُشرِكين ويُستبقَى شبابُهم[1]؛ لأن الشَّبابَ إذا عُرِضَ علَيْهم الإسلامُ ربَّما يُسلِمون، فالشَّابُّ لمَّا كانَ في سنِّ الشَّبابِ يَكونُ له أفكارٌ وأهواءٌ واتجاهاتٌ فِكريَّةٌ وخُلقيَّةٌ وسُلوكيَّةٌ، صارَ الَّذي يمُنُّ اللهُ علَيْه وينشأُ في طاعتِهِ منَ الَّذينَ يُظلُّهم اللهُ في ظِلِّه يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّه.

وطاعةُ اللهِ هيَ امتثالُ أمرِ اللهِ واجتنابُ نهيِه، ولا امتثالَ للأمرِ واجتنابَ للنَّهيِ إلَّا بمعرفةٍ أنَّ هذا أمرٌ وهذا نهيٌ، إذَنْ لا بدَّ مِن سَبقِ العِلمِ، فيَكونُ هذا الشَّابُّ طالبًا للعلمِ، مُمتثِلًا للأمرِ، مُجتنِبًا للنَّهيِ.

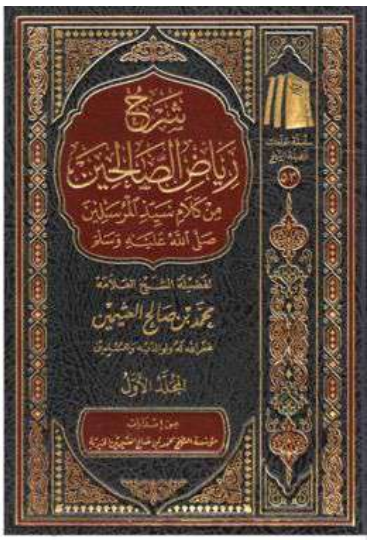

معنى قوله ﷺ:

"يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ"

١/ ٤٤٨-٤٤٩

وهُنا مسألةٌ أحِبُّ أَنْ أُنبِّهَ علَيْها: وهيَ أنَّ بعضَ الطلَبةِ يَظُنُّون أنَّ المرادَ بالظِّلِّ «في ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» أنَّه ظلُّ الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ وهذا ظنٌّ خاطئٌ جدًّا، لا يظنُّه إلَّا رجلٌ جاهلٌ، وذلكَ أنَّ منَ المعلومِ أنَّ الناسَ في الأرضِ، وأنَّ الظلَّ هذا يكونُ عنِ الشَّمسِ، فلو قُدِّرَ أنَّ المرادَ به ظِلُّ الرَّبِّ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لَزِمَ مِن هذا أَنْ تَكونَ الشَّمسُ فوقَ اللهِ؛ ليَكونَ حائِلًا بينَها وبينَ الناسِ، وهذا شيءٌ مُستحيلٌ ولا يُمكنُ؛ لأنَّ اللهَ سُبحانَه قد ثبَتَ له العُلوُّ المطلقُ مِن جَميعِ الجهاتِ، ولكنَّ المرادَ ظلٌّ يخلقُهُ اللهُ في ذلكَ اليومِ يظلُّ مَن يَستحِقُّون أن يُظِلَّهم اللهُ في ظِلِّه، وإنَّما أضافَهُ اللهُ إلى نفسِه؛ لأنَّه في ذلكَ اليومِ لا يَستَطيعُ أحدٌ أن يُظَلِّلَ بفِعلِ مَخلوقٍ، فليسَ هُناكَ بناءٌ ولا شيءٌ يوضعُ على الرؤوسِ، إنَّما يكونُ الظلُّ ما خلقَهُ اللهُ لعبادِهِ في ذلكَ اليومِ؛ فلِهذا أضافَهُ اللهُ إلى نفسِهِ لاختِصاصِهِ بِه[1].

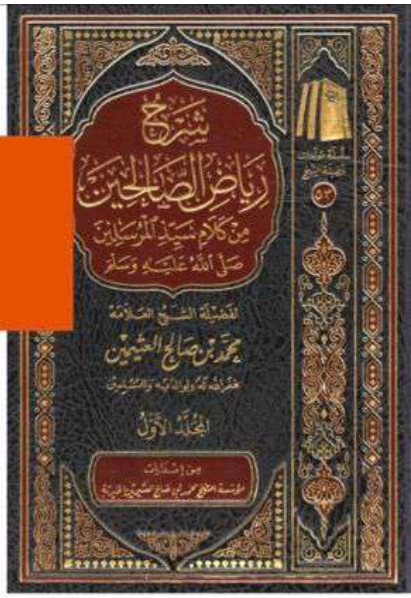

دفع الزكاة لطالب العلم القادر على التكسب

١/ ٤١٣

قالَ أهلُ العِلمِ: ومِن ذلكَ: أن يتفرَّغَ شخصٌ لطلبِ العلمِ وهو قادرٌ على التكسُّبِ، لكنَّه تفرَّغَ مِن أجلِ أن يَطلُبَ العلمَ، فإنَّه يُعطَى منَ الزكاةِ مقدارَ حاجتِه؛

لأنَّ طلبَ العلمِ جِهادٌ في سبيلِ اللهِ، أمَّا مَن تفرَّغَ للعِبادةِ فلا يُعطَى منَ الزكاةِ، بل يُقالُ: اكتسِبْ. وبهذا عرَفْنا شرفَ العلمِ على العِبادةِ.

فلو جاءَنا رجُلانِ أحدُهما دَيِّنٌ طيبٌ ويقولُ: أنا أَستطيعُ أَنْ أَتكسَّبَ لكِن أحبُّ أن أتفرَّغَ للعبادةِ منَ الصلاةِ والصِّيامِ والذِّكرِ وقراءةِ القرآنِ، فأَعطوني منَ الزكاةِ واكْفُوني العملَ. نقولُ: لا نُعطيكَ بلِ اكتسِبْ.

وجاءَ رجلٌ آخرُ قالَ: أنا أريدُ أن أتفرَّغَ لطلبِ العلمِ وأنا قادرٌ على التَّكَسُّبِ، لكِنْ إن ذهبتُ أتكسَّبُ لم أطلبِ العلمَ فأَعطوني ما يَكفيني مِن أجلِ أن أتفرَّغَ لطلبِ العلمِ. قُلنا: نُعطيكَ ما يَكفيكَ لطلبِ العلمِ. وهَذا دليلٌ على شرَفِ العلمِ وطلبِه.

يجتمع في الركوع ثلاثة تعظيمات

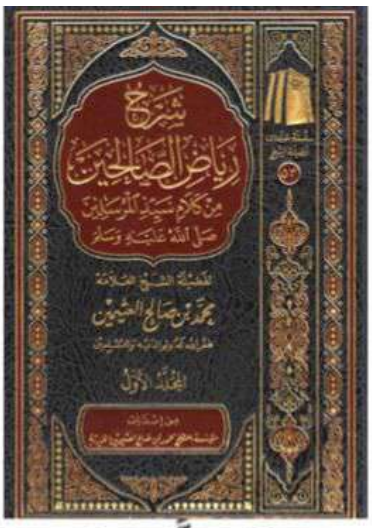

١/ ٣٧٩

[redacted] فيَجتمعُ في الركوعِ ثلاثةُ تعظيماتٍ:

١- تَعظيمُ القلبِ.

٢- تعظيمُ الجوارحِ.

٣- تعظيمُ اللسانِ.

فالقلبُ: تستشعرُ أنَّك ركَعْتَ تعظيمًا للهِ، واللِّسانُ: تقولُ: سبحانَ ربِّيَ العظيمِ.

والجوارحُ: تَحني ظهرَكَ.

معنى قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾

١/ ٣١٥-٣١٦

أمَّا مُراقبتُك للهِ فأَنْ تَعلمَ أنَّ اللهَ تَعالى يعلمُ كُلَّ ما تقومُ به مِن أقوالٍ وأفعالٍ واعتقاداتٍ، كما قالَ اللهُ تَعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء:٢١٧-٢١٩]، يراكَ حين تقومُ، أي: في الليلِ حينَ يقومُ الإنسانُ في مكانٍ خالٍ لا يطَّلعُ عليهِ أحدٌ، فاللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يراهُ، حتَّى ولو كانَ في أعظمِ ظُلمةٍ وأحلَكِ ظُلمةٍ، فإنَّ اللهَ تَعالى يراهُ.

وقولُه: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ أي: وأنتَ تتقلَّبُ في الَّذينَ يَسجُدون للهِ في هذه الساعةِ، يَعني: تقلُّبَكَ فيهِم، أي: معَهم، فإنَّ اللهَ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يَرَى الإنسانَ حينَ قيامِه وحينَ سُجودِه.

وذكَرَ القيامَ والسجودَ؛ لأنَّ القيامَ في الصَّلاةِ أشرفُ منَ السُّجودِ بذِكرِه، والسُّجودُ أفضلُ منَ القيامِ بهَيئتِه.

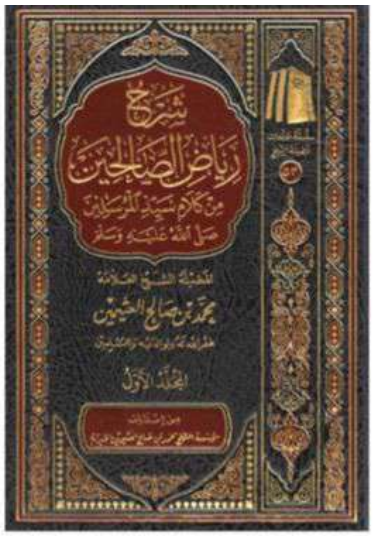

فضيلة الصدق وتحرّي الصدق

١/ ٢٨٨

وقولُه: «وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا» وفي رِوايةٍ: «ولا يَزالُ الرَّجلُ يَصْدُقُ ويَتَحَرَّى الصَّدْقَ حتَّى يُكتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا».

والصدِّيقُ في المرتبةِ الثَّانيةِ مِن مَراتبِ الخلقِ منَ الذينَ أنعمَ اللهُ علَيْهم كما قالَ اللهُ سبحانَه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء:٦٩]، فالرجلُ الَّذي يتحرَّى الصدقَ يُكتبُ عندَ اللهِ صِدِّيقًا، ومعلومٌ أنَّ الصِّديقيةَ درجةٌ عظيمةٌ لا يَنالُها إلَّا أفذاذٌ منَ الناسِ، وتَكونُ في الرِّجالِ وتَكونُ في النِّساءِ، قالَ اللهُ تَعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞ﴾ [المائدة:٧٥].

علامة إذا أراد الله بالعبد العاصي خيرًا أو شرًا

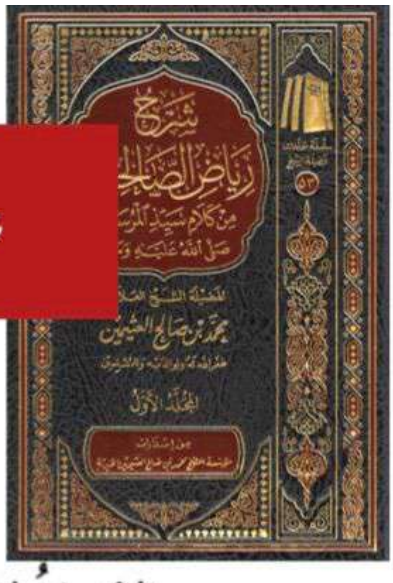

١/ ٢٥٣-٢٥٤

والإنسانُ لا يَخلو مِن خطأٍ ومَعصيةٍ وتقصيرٍ في الواجبِ؛ فإذا أَرادَ اللهُ بعبدِه الخيرَ عجَّلَ لَه العُقوبةَ في الدُّنيا: إمَّا بمالِه، أو بأهلِه، أو بنَفسِه، أو بأحدٍ ممَّنْ يتَّصلُ به؛ لأنَّ العقوباتِ تُكفِّرُ السيِّئاتِ، فإذا تَعجَّلتِ العقوبةُ وكفَّرَ اللهُ بها عنِ العبدِ، فإنَّه يُوافِي اللهَ وليسَ عليهِ ذنبٌ، قد طَهَّرتْهُ المصائبُ والبَلايا، حتَّى إنَّه ليُشددُ على الإنسانِ موتُه لبقاءِ سيِّئةٍ أو سيِّئتينِ عليهِ، حتَّى يخرجَ منَ الدُّنيا نقيًّا منَ الذُّنوبِ، وهذه نِعمةٌ؛ لأنَّ عذابَ الدُّنيا أهونُ مِن عَذابِ الآخرةِ.

لكِنْ إذا أرادَ اللهُ بعَبدِهِ الشرَّ أمهلَ له واستَدرَجَه وأدرَّ عليهِ النعمَ ودفعَ عنهُ النقمَ حتَّى يبطرَ -والعياذُ باللهِ- ويفرحُ فرحًا مَذمومًا بما أنعمَ اللهُ بِه عليهِ، وحينَئِذٍ يُلاقِي ربَّه وهوَ مَغمُور بسيئاتِه فيُعاقبُ بها في الآخِرةِ، نَسألُ اللهَ العافيةَ. فإذا رأيتَ شخصًا يُبارزُ اللهَ بالعِصيانِ وقَدْ وقاهُ اللهُ البلاءَ وأدرَّ عليه النِّعمَ، فاعلَمْ أنَّ اللهَ إنَّما أرادَ به شرًّا؛ لأنَّ اللهَ أخَّرَ عَنه العقوبةَ حتَّى يُوافَى بها يومَ القيامةِ.

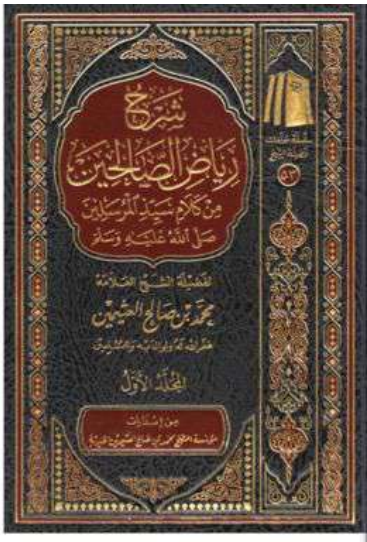

معنى قوله ﷺ:

"مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ"

١/ ٢٤١

لكِنَّ المرادَ: مَن يُردِ اللهُ به خيرًا فيُصيبُ منه فيَصبرُ على هذِه المصائبِ، فإنَّ ذلكَ منَ الخيرِ لَه؛ لأنَّه سبقَ أن المصائبَ يكفِّرُ اللهُ بها الذُّنوبَ ويَحطُّ بها الخَطايا، ومنَ المعلومِ أنَّ تَكفيرَ الذُنوبِ والسيِّئاتِ وحَطَّ الخطايا لا شكَّ أنَّه خيرٌ للإنسانِ، لأنَّ المصائبَ غايةُ ما فيها أنَّها مَصائبُ دنيويةٌ تَزُولُ بالأيامِ، كلَّما مضَتِ الأيامُ خفَّت عليكَ المُصيبةُ، لكِنَّ عذابَ الآخرةِ باقٍ -والعياذُ باللهِ- فإذا كفَّرَ اللهُ عنكَ بهذِه المصائبِ صارَ ذلكَ خيرًا لكَ.

الله تعالى يجيب دعوة المضطر ولو كان كافرا

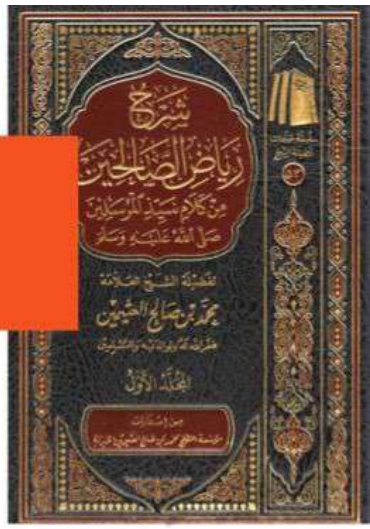

٢١٨/١

ثالثًا: أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُجيبُ دعوةَ المُضطـرِّ إذا دعاهُ، فإذا دَعَا الإنسانُ ربَّـه في حالِ ضرورةٍ مُوقِنًا أنَّ اللهَ يُجيبُه، فإنَّ اللهَ تَعالى يُجيبُه، حتَّى الكُفارُ إذا دَعَوُا اللهَ في حالِ الضرورةِ أجابَهم اللهُ، معَ أنَّه يعلمُ أنَّهم سيَرجِعون إلى الكفرِ، إذا غشِيَهم موجٌ كالظُّللِ في البحرِ دعَوُا الله مُخلِصينَ له الدِّينَ، فإذا نجَّاهم أَشرَكوا، فيُنجيهم لأنَّهم صدَقوا في الرُّجوعِ إلى اللهِ عندَ دعائِهم، وهوَ سُبحانَه يُجيبُ المُضطرَّ ولو كانَ كافِرًا.

أفضل صيغة في التعزية

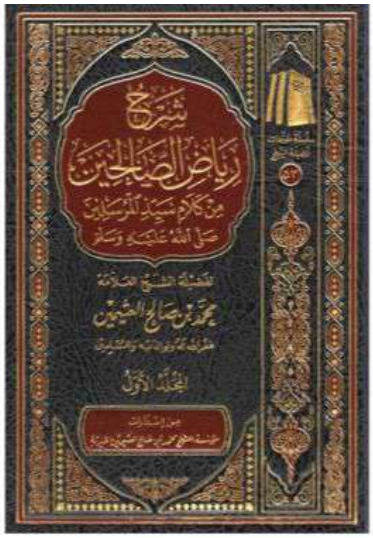

١/ ٢٠٧

وفيه دليلٌ أيضًا: على أنَّ هَذه الصيغةَ منَ العزَاءِ أفضَلُ صيغةٍ، أفضلُ مِنْ قولِ بعضِ الناسِ: «أعظمَ اللهُ أَجْرَكَ، وأحسَنَ عزاءَكَ وغفَرَ لَمَيتِكَ» هذه صِيغةٌ اختارَها بعضُ العُلماءِ، لكنَّ الصيغةَ الَّتي اختارَها الرسولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ؛ فإنَّ للهِ مَا أَخَذَ ولَهُ ما أَعْطَى، وكُلُّ شيءٍ عِنْدَهُ بأَجَلٍ مُسَمًّى» أفضلُ؛ لأنَّ المصابَ إذا سمعَ اقتنعَ أكثرَ.

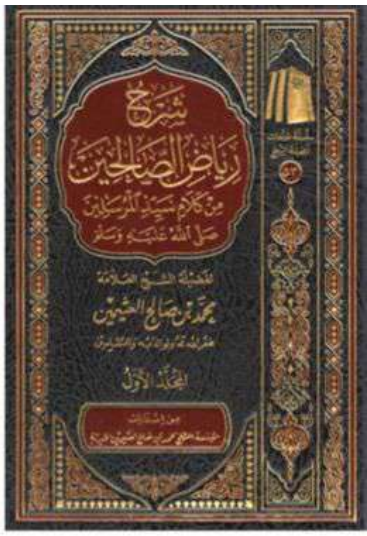

حال الإنسان مع الدنيا

١/ ٢٣٩

والإنسانُ في هذه الدُّنيا لا يُمكنُ أَنْ يَبقَى مسرورًا دائمًا، بل هوَ يومًا يُسَرُّ ويومًا يحزنُ، ويومًا يأتيهِ شيءٌ ويومًا لا يَأتيهِ، فهو مُصابٌ بمصائبَ في نفسِه ومصائبَ في بدَنِه. ومصائبَ في مُجتمعِه ومَصائبَ في أهلِه، ولا تُحصَى المصائبُ الَّتي تُصيبُ الإنسانَ، ولكِنَّ المؤمنَ أمرُه كُلُّه خيرٌ، إِنْ أَصابَتْه ضرَّاءُ صبرَ فكانَ خيرًا لهُ، وإِنْ أصابَتْه سَرَّاءُ شكرَ فكانَ خيرًا لهُ.

فإذا أُصِبْت بالمصيبةِ فلا تَظنَّ أنَّ هذا الهمَّ الَّذي يَأتيكَ أو هذا الألمَ الَّذي يأتيكَ ولَوْ كانَ شوكةً، لا تَظنَّ أنَّه يَذهبُ سُدًى، بل ستُعوَّضُ عنه خيرًا مِنه، ستُحَطُّ عنكَ الذنوبُ كما تَحُطُّ الشجرةُ ورقَها، وهذا مِن نِعمةِ اللهِ.

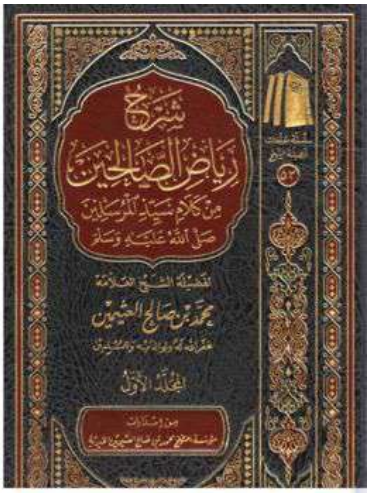

المصائب تكون على وجهين

١/ ٢٤٠

فالمَصائبُ تَكونُ على وجهَيْن:

١- تارةً إذا أُصيبَ الإنسانُ تذكرَ الأجرَ واحتَسَبَ هذه المُصيبةَ على اللهِ، فيَكونُ فيها فائِدتانِ: تكفيرُ الذُّنوبِ، وزيادةُ الحسناتِ.

٢- وتارةً يغفلُ عَن هذا فيضيقُ صدرُه، ويصيبُه ضجرٌ أو ما أشبَهَ ذلكَ، ويغفلُ عن نِيةِ احتسابِ الأجرِ والثوابِ على اللهِ، فيكونُ في ذلكَ تكفيرٌ لسيِّئاتِه، إذَنْ هو رابحٌ على كُلِّ حالٍ في هذِه المصائبِ الَّتي تأتيهِ.

فإمَّا أَنْ يربحَ تكفيرَ السَّيِّئاتِ وحطَّ الذُّنوبِ بدونِ أن يَحصلَ له أجرٌ؛ لأنَّه لم ينوِ شيئًا ولم يَصبِرْ ولم يَحتسِبِ الأجرَ، وإمَّا أن يَربحَ شيئَيْن: تكفيرَ السيئاتِ، وحصولَ الثوابِ منَ الله عَزَّوَجَلَّ كما تقدَّمَ.

ولهذا يَنبَغي للإنسانِ إذا أُصيبَ ولو بشَوكةٍ، فلْيَتذكَّرِ احتسابَ الأجرِ مِن اللهِ على هَذه المُصيبةِ، حتَّى يُؤجرَ علَيْها، معَ تكفيرِها للذنوبِ.

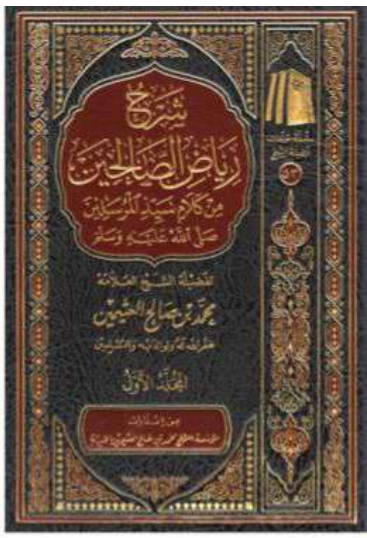

معنى قوله ﷺ: "وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ"

١/ ١٩٤

أوَّلًا: مَن يَستغنِ يُغنِهِ اللهُ؛ أي: مَن يَستغنِ بما عندَ اللهِ عمَّا في أيدِي الناسِ يُغنِهِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وأمَّا مَن يَسألُ الناسَ ويَحتاجُ لِما عندَهم فإنَّه سيَبقَى قلبُهُ فقيرًا -والعياذُ باللهِ- ولا يَستغنِي.

والغِنَى غِنَى القلبِ، فإذا استَغنَى الإنسانُ بما عندَ اللهِ عمَّا في أيدِي النَّاسِ أغناهُ اللهُ عنِ الناسِ، وجعَلهُ عزيزَ النَّفسِ بَعيدًا عنِ السُّؤالِ.

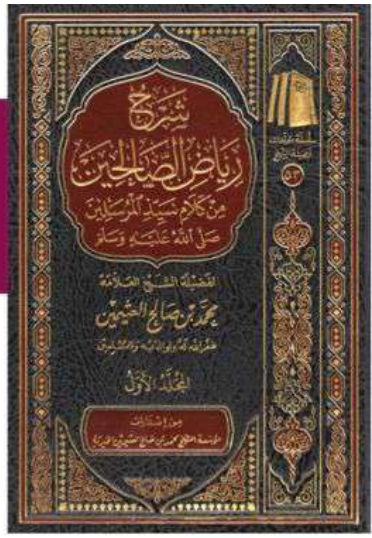

معنى قوله ﷺ: "وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ"

١/ ١٩٤

ثانيًا: مَن يَستعفِفْ يُعفَّه اللهُ؛ فمَن يَستعفِفْ عمَّا حرَّمَ اللهُ عليهِ منَ النساءِ يُعفَّه اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

والإنسانُ الَّذي يُتبعُ نفسَهُ هواها فيما يَتعلَّقُ بالعِفةِ فإنَّه يَهلِكُ والعِياذُ باللهِ؛ لأنَّه إذا أتبعَ نفسَه هواها وصارَ يَتَتَبَّعُ النِّساءَ؛ فإنَّه يَهلكُ، تَزني العينُ، تَزني الأُذنُ، تَزني اليدُ، تَزني الرِّجلُ، ثُم يَزني الفَرْجُ؛ وهو الفاحِشةُ والعياذُ باللهِ.

فإذا استعَفَّ الإنسانُ عَن هذا المحرَّمِ أعفَّه اللهُ عَزَّوَجَلَّ وحَماهُ وحَمى أهلَه أيضًا.

معنى قوله تعالى:

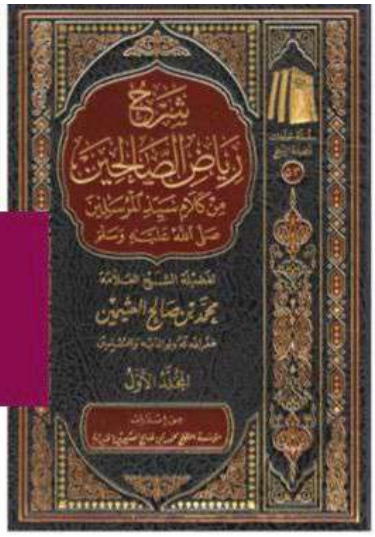

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجرَهُم بِغَيرِ حِسابٍ﴾

١/ ١٨٠

الآيةُ الثالثةُ: قولُه تَعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

﴿يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ أَيْ: يُعطَى الصابِرون ﴿أَجْرَهُم﴾ أي: ثوابَهم.

وقولُه: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وذلكَ أنَّ الأعمالَ الصالحةَ مُضاعفةٌ؛ الحسَنةُ بعشَرةِ أمثالِها إلى سبعِ مِئةِ ضِعفٍ إلى أَضعافٍ كثيرةٍ.

أمَّا الصَّبرُ فإنَّ مُضاعفتَه تَأتي بغيرِ حسابٍ مِن عندِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وهذا يَدلُّ على أنَّ أجرَه عظيمٌ، وأنَّ الإنسانَ لا يُمكنُ أن يَتصوَّرَ هذا الأجرَ؛ لأنَّه لم يُقابَلْ بعدَدٍ، بل هوَ أمرٌ معلومٌ عندَ اللهِ ولا حِسابَ فيهِ، لا يُقالُ مثلًا: الحسَنةُ بعشَرةِ أمثالِها إلى سبعِ مِئةِ ضِعفٍ. بل يُقال: إنَّه يُوفَّى أجرَه بغيرِ حِسابٍ. وفي هَذه الآيةِ منَ التَّرغيبِ في الصَّبرِ ما هوَ ظاهرٌ، قالَ المؤلِّفُ:

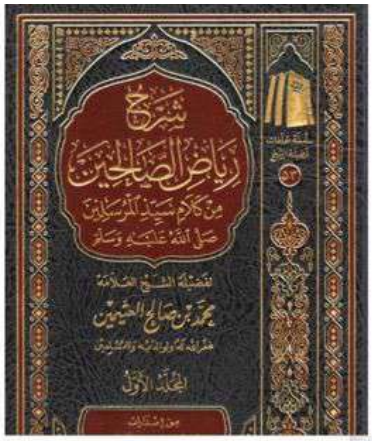

معنى قوله ﷺ: "وَالصَّلَاةُ نُور"

١/ ١٨٩

قولُه ﷺ: «والصَّلاةُ نُورٌ».

فالصلاةُ نورٌ: نورٌ للعبدِ في قلبِه، وفي وجهِه، وفي قَبرِه، وفي حَشرِه؛ ولِهذا تجدُ أكثرَ الناسِ نورًا في الوجوهِ أكثرَهُمْ صلاةً، وأخشعَهم فيها للهِ عَزَّوَجَلَّ.

وكذلِك تكونُ نورًا للإنسانِ في قلبِه؛ تفتحُ عليهِ بابَ المعرفةِ للهِ عَزَّوَجَلَّ وبابَ المعرفةِ في أحكامِ اللهِ، وأفعالِه، وأسمائِه، وصفاتِه، وهيَ نورٌ في قبرِ الإنسانِ؛ لأنَّ الصلاةَ هيَ عَمُودُ الإسلامِ، إذا قامَ العمودُ قامَ البناءُ، وإذا لم يَقُمِ العمودُ فلا بناءَ.

كذلكَ نورٌ في حشرِه يومَ القيامةِ؛ كما أخبرَ بذلِك الرسولُ ﷺ: «**أَنَّ مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يوْمَ القِيامةِ، ومَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ تَكُنْ لَهُ نُوْرًا وَلَا بُرْهَانًا ولَا نَجاةً يومَ القِيامةِ، وَحُشِرَ مَعَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ وأُبَيِّ بنِ خَلَفٍ**»[1].

فهيَ نورٌ للإنسانِ في جميعِ أحوالِه، وهذا يَقتَضي أن يُحافظَ الإنسانُ علَيْها، وأن يَحرِصَ علَيْها، وأن يُكثِرَ منها حتَّى يكثرَ نورُه وعلمُه وإيمانُه.

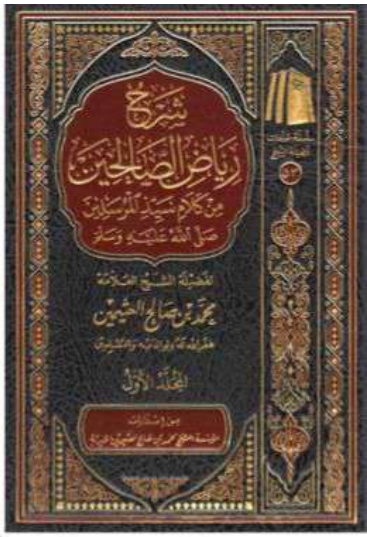

معنى قول النبي ﷺ: "وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ"

١/ ١٨٦

[illegible]ن» الحديثَ، إلى قولِه: «والصَّبْرُ ضِياءٌ» فبيَّنَ النبيُّ ﷺ في هَذا الحديثِ أنّ الصبرَ ضياءٌ؛ يَعني: أنَّه يضيءُ للإنسانِ، عندَما تحتلِكُ الظُّلماتُ وتَشتدُّ الكُرُباتُ، فإذا صبَرَ؛ فإنَّ هذا الصبرَ يَكونُ له ضياءً يَهديهِ إلى الحقِّ.

ولهذا ذكرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أنَّه مِن جملةِ الأشياءِ الَّتي يُستعانُ بِها، فهوَ ضياءٌ للإنسانِ في قلبِه، وضياءٌ لَه في طريقِه ومنهاجِه وعملِه؛ لأنَّه كلَّما سارَ إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ على طريقِ الصَّبرِ؛ فإنَّ اللهَ تَعالى يَزيدُه هدًى وضياءً في قلبِه ويبصِّرُه؛ فلِهذا قالَ النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الصَّبْرُ ضِياءٌ».

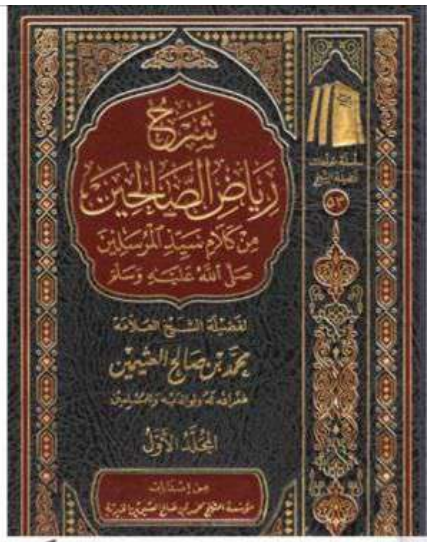

ينبغي مكافأة من بشرك بالخير

١/ ١٥٣

ثامنًا: أنَّه يَنبَغي مُكافأةُ مَن بشَّرَك بهديَّةٍ تكون مناسبة للحالِ؛ لأنَّ كعبَ بنَ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعطَى الَّذي بَشَّرَه ثَوبَيْه، وهذا نَظيرُ ما صحَّ به الخبرُ عَن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وكانَ يأمرُ النَّاسَ إذا حجُّوا أن يَتمتَّعوا بالعُمرةِ إلى الحجِّ، يَعني أن يَأتوا بالعُمرةِ ويُحلُّوا منها، ثُم يُحرِموا بالحجِّ في يومِ التَّرويةِ، وكانَ عُمرُ بنُ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَنهَى عنِ المُتعةِ[1]؛ لأنَّه يُحبُّ أن يَعتمرَ الناسُ في وقتٍ، وأن يَحجُّوا في وقتٍ، حتَّى يَكونَ البيتُ دائمًا معمُورًا بالزُّوَّارِ، ما بينَ مُعتَمرين وحجَّاجٍ، فعلَ هذا اجتِهادًا مِنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهوَ منَ الاجتهادِ المغفورِ، وإلَّا فلا شكَّ أنَّ سُنَّةَ الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَوْلى.

المهمُّ: أنَّ رجلًا استَفْتى عبدَ اللهِ بنَ عباسٍ في هذه المسألةِ، فأمرَهُ أن يَتمتَّعَ وأن يُحرمَ بالعمرةِ ويُحِلَّ مِنها.

فرأى هذا الرَّجلُ في المنامِ شَخصًا يقولُ لَه: حَجٌّ مبرورٌ وعُمرةٌ مُتقبلةٌ، فأخبَرَ بذلِك عبدَ اللهِ بنَ عباسٍ الَّذي أفتاهُ، ففرحَ بذلكَ ابنُ عباسٍ، وأمرَه أن يَبقَى حتَّى يُعطيَهُ مِن عطائِه[2]، يَعني: يُعطيه هديَّةً على ما بَشَّرهُ بهِ مِن هذه الرُّؤيا الَّتي تدلُّ على صوابِ ما أَفتاهُ به عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والمهمُّ أنَّ مَن بشَّرَك بشيءٍ فأقلُّ الأحوالِ أن تَدعوَ له بالبشارةِ، أو تُهديَ له ما تيسَّرَ، وكلُّ إنسانٍ بقَدرِ حالِه.

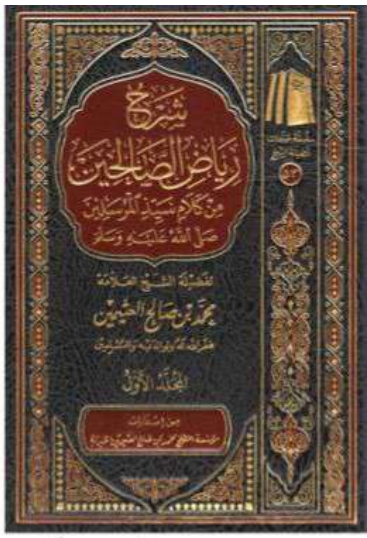

فضيلة طلب العلم الشرعي

١/ ١١١

حتَّى إنَّ بعضَ العلماءِ قالَ: «إنَّ طَلَبَ العلمِ أفضلُ منَ الجِهادِ في سبيل اللهِ بالسِّلاحِ»؛ لأنَّ حِفظَ الشريعةِ إنَّما يكونُ بالعلمِ، والجهادُ بالسلاحِ في سبيلِ اللهِ مَبنيٌّ على العِلمِ، لا يسيرُ المجاهدُ، ولا يُقاتلُ، ولا يُحجمُ، ولا يَقسمُ الغَنيمةَ، ولا يَحكمُ بالأَسرى، إلَّا عَن طريقِ العلمِ، فالعِلمُ هوَ كلُّ شيءٍ.

ولهذا قالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]، ووَضْعُ الملائكةِ أجنِحتَها لطالبِ العِلمِ رضًا بما يَطلبُ، واحترامًا لَه،

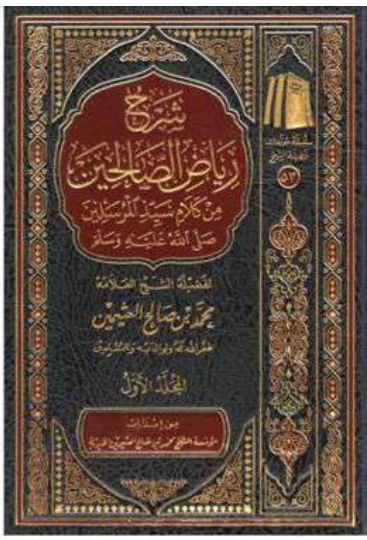

إذا عوّد الإنسان نفسه التأخر عن فعل الخير أخّره الله تعالى

١/ ١٣٧-١٣٨

الفائدةُ الأُولى: أنَّ الإنسانَ لا يَنبغي له أن يَتأخَّرَ عن فِعلِ الخيرِ، بل لا بُدَّ أن يَتقدَّمَ ولا يَتهاونَ أو يَتكاسلَ.

وأذكرُ حديثًا قالَه النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الَّذينَ يَتقدَّمون إلى المسجدِ ولكِنْ لا يَتقدَّمون إلى الصفِّ الأولِ، بَلْ يَكونون في مؤخَّرِه. قالَ: «**لَا يَزالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ**»[1].

إذا عوَّدَ الإنسانُ نفسَه على التأخيرِ أخَّرَه اللهُ عَزَّوَجَلَّ، فبادِرْ بالأَعمالِ الصَّالِحةِ مِن حين أَنْ يَأتيَ طلبُها مِن عندِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

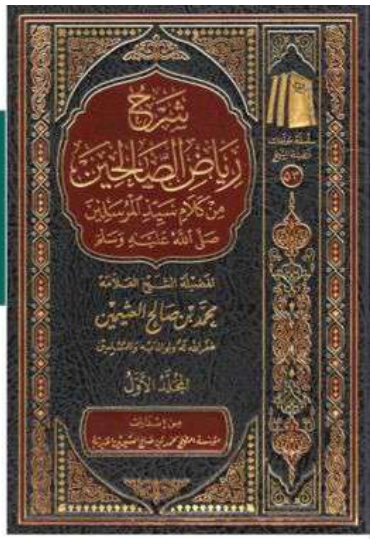

يُسنُّ لمن أنعم الله عليه بنعمة أن يتصدق

١/ ١٥٩

ثالثًا: أنَّ مَن أنعمَ اللهُ عليهِ بنِعمةٍ فإنَّ منَ السُّنةِ أن يَتصدَّق بشيءٍ مِن مالِه، فإنَّ النبيَّ ﷺ أقرَّ كعبَ بنَ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أن يَتصدَّقَ بشيءٍ مِن مالِهِ؛ توبةً إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ لما حصلَ لَه مِن هذا الأمرِ العظيمِ الَّذي كانَ فخرًا له إلى يومِ القيامةِ.

ورد في الصحيحين في قصة الثلاثة الذين خُلّفوا بعد نزول توبة الله تعالى عليهم، قول كعب بن مالك: ".. قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ : " أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ". قُلْتُ : فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ"

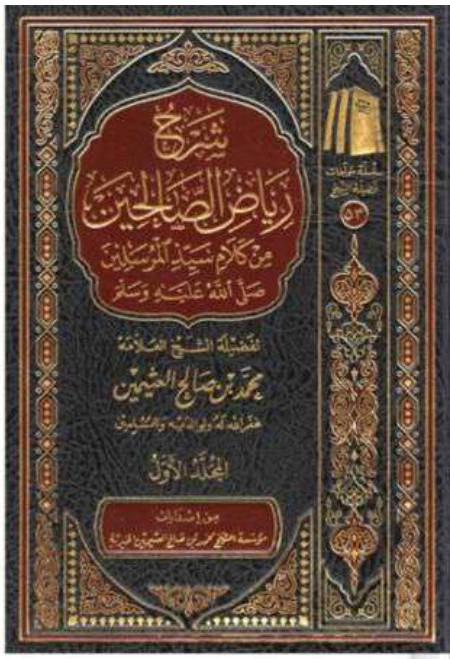

معنى قوله ﷺ:

"الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"

١/ ١١٦-١١٧

فقالَ النبيُّ ﷺ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَومَ القِيَامَةِ» نِعمةٌ عظيمةٌ -ولله الحمدُ- وقَدْ روَى أنسُ بنُ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه القطعةَ منَ الحديثِ، أنَّ الرسولَ ﷺ قالَ لرجلٍ يُحبُّ اللهَ ورسولَه: «إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قالَ أنسٌ: «فأَنا أحبُّ رَسولَ اللهِ ﷺ وأبا بكرٍ وعُمرَ، وأَرجو أَنْ أكونَ معَهم»[1].

وهكذا أيضًا نحنُ نُشهدُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ على محبةِ رَسولِ اللهِ ﷺ، وخُلفائِهِ الراشِدين، وصَحابتِه، وأئمةِ الهُدى مِن بعدِهم، ونَسألُ اللهَ أن يَجعلَنا معَهم.

هذه بُشرَى للإنسانِ؛ أنَّه إذا أحبَّ قومًا صارَ معَهم وإن قصُرَ بهِ عمَلُه، يَكونُ معَهم في الجَنةِ ويجمَعُهُ اللهُ معَهم في الحشرِ، ويَشرَبون مِن حوضِ الرسولِ ﷺ جميعًا، وهكَذا.. كما أنَّ مَن أحبَّ الكفرةَ فإنَّه رُبما يَكونُ معَهم -والعياذُ باللهِ- لأنَّ محبةَ الكافِرينَ حرامٌ، بَلْ قد تَكونُ مِن كبائرِ الذنوبِ.

فالواجبُ على المسلمِ أن يَكرهَ الكُفّارَ، وأن يَعلمَ أنَّهم أعداءٌ له مَهما أبدَوْا منَ الصدَّاقةِ والمودةِ والمحبةِ؛ فإنَّهم لَن يَتقرَّبوا إليكَ إلَّا لمَصلحةِ أنفسِهم ومَضرَّتِك أيضًا،

صلاة المسافر ركعتين في المسجد عند القدوم من السفر سنة قلَّ العمل بها

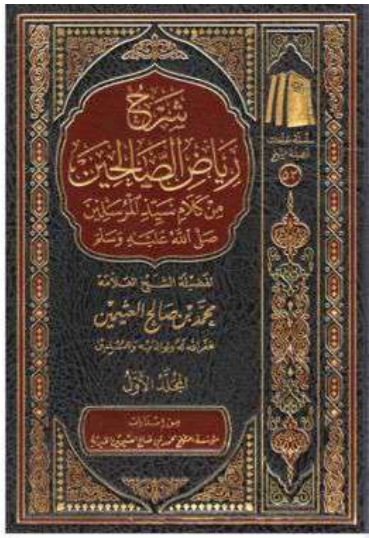

١٤٠ /١

ثانيًا: أنَّه يَنبغي للإنسانِ إذا قَدِمَ بلدَه، أن يعمِدَ إلى المسجدِ قبلَ أن يدخلَ إلى بيتِهِ فيُصلِّيَ فيه ركعتَينِ؛ لأنَّ هذِه سُنَّةُ النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ القوليَّةُ والفعليَّةُ.

أمَّا الفِعليةُ: فكما في حديثِ كعبِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأمَّا القوليَّةُ: فإنَّ جابرَ بنَ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حينَ باعَ على النبيِّ ﷺ جَمَلَه في أثناءِ الطريقِ، واستَثْنى أنْ يركبَه إلى المدينةِ وأعطاهُ النبيُّ ﷺ شرطَه، فقدمَ جابرٌ المدينةَ وقَدْ قدمَ النبيُّ ﷺ قبلَه، فجاءَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فأمرَه أن يَدخلَ المسجدَ ويصلِّيَ ركعتَيْن[1].

وما أظنُّ أحدًا منَ الناسِ اليومَ -إلَّا قليلًا- يعملُ هذِه السُّنةَ، وهذا لجهلِ النَّاسِ بهذا، وإلَّا فهوَ سَهْلٌ والحمدُ للهِ.

وسَواءٌ صليتَ في مسجدِكَ الَّذي كنتَ تُصلي فيه القريبِ من بَيتِك، أو صلَّيْت في أَدنَى مسجدٍ مِن مساجدِ البلدِ الَّذي أنتَ فيه حصَلَت السُّنَّةِ.

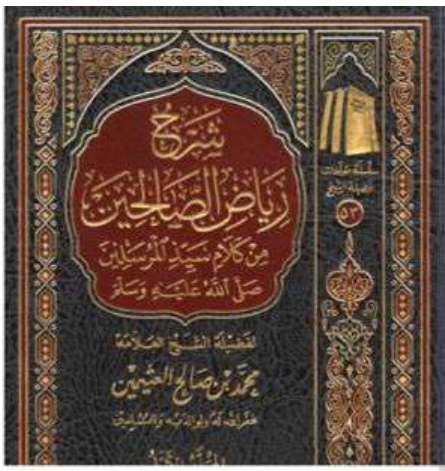

احتسب نفقاتك على أهلك وولدك

ونفسك تؤجر عليها

١/ ٥١-٥٢

ثُم قالَ: «وَإِنَّكَ لَنْ تُنفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغي بِهَا وَجهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ» يقولُ: «لَنْ تُنفِقَ نَفَقَةً»؛ أي: لن تُنفقَ مالًا؛ دراهمَ أو دنانيرَ، أو ثيابًا، أو فرشًا، أو طعامًا، أو غير ذلكَ تَبتَغي به وجهَ اللهِ إلَّا أُجِرْتَ علَيْه.

الشاهدُ مِن هذا قولُه: «تَبْتَغي بِهَا وَجهَ اللهِ» أي: تَقصدُ به وجهَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، يَعنِي: تَقصدُ به أَنْ تصلَ إلى الجنَّةِ، حتَّى تَرى وجهَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

لأنَّ أهلَ الجنَّةِ -جعَلَني اللهُ وإيَّاكم مِنهم- يَرونَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويَنظرونَ إليهِ عيانًا بأَبصارِهم، كما يَرونَ الشَّمسَ صحوًا ليسَ دُونَها سَحابٌ، وكما يَرونَ القمرَ ليلةَ البدرِ. يَعني: أنَّهم يَرونَ ذلكَ حقًّا.

«حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ» أي: حتَّى اللُّقمةُ الَّتي تُطعِمُها امرأتَك تُؤجَرُ عليها إذا قصَدْت بها وجهَ اللهِ، معَ أنَّ الإنفاقَ على الزَّوجةِ أمرٌ واجبٌ، لو لم تُنفِقْ لقالَت: أَنفِقْ أو طلِّقْ. ومع هذا إذا أَنفَقْت على زوجتِك تُريدُ بِه وجهَ اللهِ آجَرَك اللهُ على ذلكَ.

وكذلكَ إذا أَنفَقْت على أولادِك، أو أنفَقْت على أمِّكِ، وعلى أبيكَ، بل إذا أَنفَقْت على نفسِك تَبتَغي بذلكَ وجهَ اللهِ؛ فإنَّ اللهَ يُثيبُك على هذا.

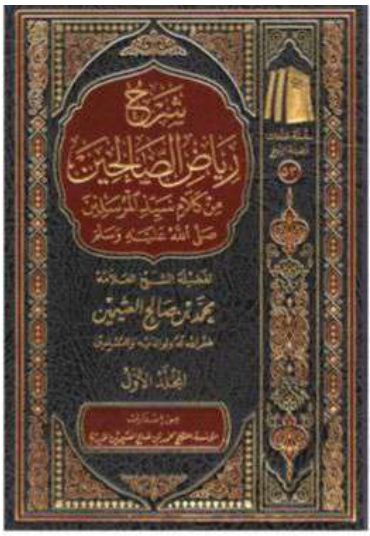

وقت سنة الضحى وأفضله

١/ ٧٠٩-٧١٠

قالَ أهلُ العِلمِ: وسُنةُ الضُّحى يَبتَدئُ وَقتُها مِنِ ارتِفاعِ الشَّمسِ قَدرَ رُمحٍ،

يَعني: حَوالَي رُبع إلى ثُلثِ ساعةٍ بَعدَ الطَلوعِ[١]، إلى قَبيلِ الزَّوالِ، أيْ: إلى قَبيلِ الزَّوالِ بِعشرِ دَقائقَ[٢]، كُلُّ هَذا وَقتٌ لِصلاةِ الضُّحى، في أيِّ وَقتٍ فيهِ تُصلِّي رَكعَتَي الضُّحى، ما بَينَ ارتِفاعِ الشَّمسِ قَدرَ رُمحٍ إلى وَقتِ الزَّوالِ، فإنَّه يُجزئُ، لَكِن الأفضَلَ أن تَكونَ في آخِرِ الوَقتِ؛ لِقَولِ النَّبيِّ ﷺ: «صَلاةُ الأَوَّابينَ حِينَ تَرْمَضُ الفِصالُ»[٣]، يَعني: حينَ تَقومُ الفِصالُ مِنَ الرَّمضاءِ لِشِدَّةِ حَرارَتِها؛ ولِهَذا قالَ العُلماءُ: إنَّ تَأخيرَ رَكعَتَي الضُّحى إلى آخِرِ الوَقتِ أفضَلُ مِن تَقديمِها، كما كانَ النَّبيُّ ﷺ يَستَحِبُّ أن تُؤخَّرَ صَلاةُ العِشاءِ إلى آخِرِ الوَقتِ، إلَّا مَعَ المَشَقَّةِ[٤].